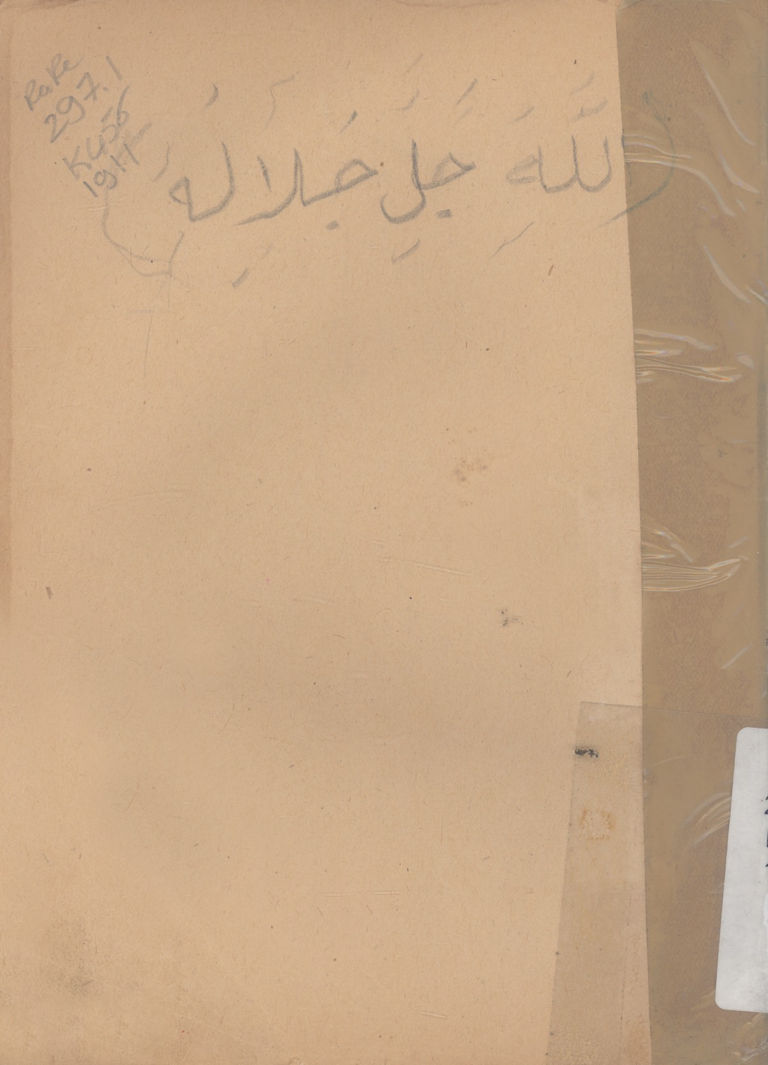


الله جل جلاله



مفيد العلوم ومبيد الهموم

تأليف

(الشيخ الامام العالم العلامة)

جمال الدين أبى بكر الخوارزمى

(رحمه الله تعالى آمين)

طبع على نفقة

أصحاب دار الكتب العربيه الكبرى بمصر

طبع بمطبعة السعاده بجوار محافظة مصر

(سنة ١٣٣٠ هجريه)



الحمد لله الذى ما للعالم سواه خالق وصانع ولا له عما يريد مانع ودافع وكل عزيز على بابه بالذل خاشع وكل سلطان لسلطنته خاضع متواضع لا وضيع الا وهو له واضع ولا رفيع الا وهو له رافع ولا متبوع الا وهو فى حكمه تابع وما سواه للبلاء عن الخلق دافع ولا شريك له ولا منازع الخير والشر بتقديره لا بتدبير الطوالع والنفع والضر بقضائه لا باقتضاء الطبائع الجماد والحيوان له مطيع وسامع والسلطان والرعية له ساجد وراكع وهو للكل بالموت قامع ثم ليوم الحشر حاشر وجامع وحقا ثم حقا ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سراجه لامع وسيفه قاطع ودينه جامع وهو لأمته شافع فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أبى بكر الطائع وعمر القانع وعثمان الساجد والراكع وعلى الذى بيده باب خيبر قالع وسلم تسليما كثيرا (هذا) وقد شهد سلطان العقل وقضى به حاكم الشرع أن العالم من العرش الى الثرى مرآة مجلوة للناظرين وآية كاشفة للتبصرين وكل من ينظر فيها يرى ان الصانع رب العالمين وفى أنفسكم أفلا تبصرون فجواهر العالم تناجى وأجسامه تنادى بلسان الحال فهو أفصح من لسان المقال هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه فجوهر يقول هل من خالق غير الله وجوهر ينادى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ولقد أصاب لعمر الله صاحبنا المطلبى فى المعنى رضى الله عنه حيث قرأ صبغة وجوهر ينطق ويقول رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا وذوات العالم تنادى

أنفسها وذواتها شهدت شهادة لاشك فيها بأن الله تعالى ليس له شريك أشهد لو نظر واستبصر أهل التلحيد لوصلوا الى حقيقة التوحيد

فيا عجبا كيف يعصى الالــــه أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

فالدلائل الصامتة والناطقة شاهدة بوحدانيته ولكن الارادة الازلية فرقت بين المؤمنين والكافرين أنعمت على قوم بالمعرفة والايمان وخصصت قوما بالخذلان والحرمان وأخبر القرآن القديم فقال فريق فى الجنة وفريق فى السعير

أتاك المرجفون برجم غيب * على دهش وجئتك باليقين

ولقد وفق الله أهل الحق من بين البرية وخصهم بهذه الهدية وأكرمهم وعظمهم بالاسلام والسنة والتوفيق والعصمة فعرفوه وعظموه وقالوا جهلوك فجحدوك ولو عرفوك لعبدوك فنادوا واهلموا فلله الحجة البالغة حجة العقل فانظروا فى وجود الحوادث أولا ثم انظروا فى حدوثها ثانيا واستدلوا بحدوثها على قدم محدثها ثالثا واذكروا من الدلائل قليلا كفى بذلك جملة وتفصيلا استدلوا بالتغيرات على المغير و بالحركة والسكون على حدوث العالم واعلموا أن لنا رباقوام الاشباح بنعمته و بقاء الارواح والاجسام برحمته ونحن حيرى فى كنه عظمته فأصحوا وغايتهم العجز والاذعان وجهرهم الامان الامان يامزيل الدول والزمان يامن كل يوم هو فى شان يامقلب القلوب والابصار احفظ علينا نعمة الايمان واعصمنا من البدع والكفر والطغيان فاعتقادنا ومكنون فؤادنا هذه الكلمة ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

ماشئت لاماشاءت الاقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار

غيره أباهند فلا تعجل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقينا

ياهذا عميت عين لاتفوز بالنظر الى صنع الله وخاس عقل لم يحتط من حكمة الله وخذل عبد لم ينظر فى صنع الله وخاب امرؤ لم يتذكر بأيام الله وخاب الكافرون وخسر المبطلون وضل المتفلسفون وهلك الملحدون فبأى حديث بعده يؤمنون

فالأرواح نوازع والنفوس جوازع والاسرار ضوائع فبم التعلل وحتام التمهل وماهذه الدعوى وعند الصباح يحمد القوم السرى فطوبى لعبد جعل التوحيد سمير فكره ونجي قلبه ومطية سيره الى ربه فان قدر الآدمي بالدين القويم والهدى المستقيم والنجاة في التوحيد لمن يعتقده وقيمة كل امرىء مايحسنه ومن ألبس سربال الاسلام فقد أوتي خيرا كثيرا ومايذكر الا أولو الالباب فيالها نعمة على جسد فهو ملك أعطى النعمة الكبرى والفضيلة العظمى فله عز في عز ودولة في دولة فالأمر أمره ولله دره فما أعظم قدره تذكر

هنيئا لأرباب النعيم نعيمهم * وللمفلس المسكين مايتجرع

ومن سلب ثوب ايمانه واتهم في نبي زمانه فحق له البكاء فقد بطل وجوده ورب السماء فيعيش بين الورى كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيي فالنعمة نعمة الدين والدولة للمسلمين والعاقبة للمتقين قال مالك بن برهة بن نهشل المجاشعي سيد وفد بني تميم يارسول الله ألست أشرف قومي فقال ان كان لك عقل فلك فضل وان كان لك خلق فلك مروءة وان كان لك دين فلك شرف وان كان لك مال فلك حسب والا فأنت والحمار سواء فالمعاصي في جنب التوحيد تتلاشى وكل الصيد في جوف الفرا هذا وقد علم كل عاقل منصف وفاضل متصف ان الدنيا دار قلعه والحال حال خدعه والعمر كما ترى مار بسرعة فالدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام فما هي لعمر الله الا أنفاس معدودة وآجال محدودة وآمال ممدودة فكل نفس خطوة وكل خطوة ميل وكل شهر منزلة فرسخ وكل سنة منزلة فاذا بلغ الأجل فقد بلغ المنزل فاذا خطيب ينادى

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فالعاقل يأخذ من نفسه لنفسه ويقيس يومه بأمسه فان مدة العمر قليلة وصحة الجسم مستحيلة والدهر خائن والمرء لامحالة حائن وكل ماهو آت فكائن وكل يوم يسوق الى غده وكل امرىء مأخوذ بجناية لسانه ويده مسكين ابن آدم انقطعت المسرته يوم قطعت سرته فؤاده طالب وهو مطلوب وجميع ماله مسلوب شبابه

الى هرم وسلطانه الى اتضاع وماله الى ذهاب وصحته الى سقم وحياته الى ممات متصل ذلك بعضه الى بعض اتصال الليل والنهار والشتاء والصيف أحسن بامرئ غرته الدنيا هل يبلغن مغرور منها الاخرقة وكسرة ان كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن إخوته بجمع لزوج امرأته أو زوج ابنته أو امرأة ابنه أو لعدو خارق ان فى ذلك لايات فهل من مدكر وهل من عاقل معتبر ينظر الى حوادث الزمان وعواقب السلطان فالعقل يدعو الى الاعتبار والحكمة تحث على الاستبصار الساعات تهدم الاعمار ومنادى الشرع ينادى الاعتبار الاعتبار فاعتبروا يا أولى الابصار

نسير الى الآجال فى كل ساعة * وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الأمانى باطل

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

ونقل أن بعض الملوك نظر الى ملكه فأعجبه ذلك فقال انه الملك لولا انه هالك وانه لسرور لولا أنه غرور وانه ليوم لو كان يوثق بغده فأبلغ العظات النظر الى محل الاموات فعواقب الامور فوات وكلنا ياصدر الرؤساء أسراء العبر والمهات والمنزل الذى يستوى فيه العبيد والسادات انظروا يمنة ثم اعطفوا يسرة هل ترون أحدا من الرجال والنساء أخذ قبالة البقاء بخطوط مسابح السماء

عجبا عجبت لغفلة الانسان * قطع الحياة بغرة وتوان

فكرت فى الدنيا فكانت منزلا * عندى كبعض منازل الركبان

مجرى جميع الخلق فيها واحد * وكثيرها وقليلها سيان

أبقى الكثير الى الكثير مضاعفا * ولو اقتصرت على القليل كفانى

لله در الوارثين كأننى * بأخصهم متبرم بمكانى

(هذا) وقد ساقنى تقدير الله الى جمع كتاب وتهذيب علم وترتيب قواعد وترصيع عبارات وايراد اشارات هو ذخيرة السلطان ويتيمة الزمان ونزهة الاخوان من

قال جامع سفيان فقد صدق ومن قال نادرة الزمان فما أغرب فلا غرو والشمس أن تشرق وللبدر أن يتألق يغازل فيه الشاميون العراقيين و ينافس به العراقيين الخراسانيون وكل به متنافسون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون عمرى من كان له هذا الكتاب لا يضيق صدره أبدا و يعرف به قواعد الشرع وقانون الممالك ونصرة المذهب ورد الخصم وتذكر الآخرة وقاعدة العدل وعاقبة الامور وتدبير العدو الى غير ذلك وأنفقت فيه شطرا من صالح عمرى (وسميته) مفيد العلوم ومبيد الهموم ورتبته على اثنين وثلاثين كتابا وهى

﴿ الكتاب الاول فى قواعد الدين وفيه تسعة أبواب ﴾

﴿ الباب الاول فى النظر والاستدلال وفيه ثلاثة فصول ﴾

(الفصل الاول فيما يلزم بالنظر)

علم أن النظر قانون الاستدلال فى الامور وحاكم العدل وقاضى الصدق ومعيار الشريعة ومحك الحق والباطل وبريد المعرفة وسلطان الحقيقة و برهان الشريعة وترجمان الايمان وجاسوس الكلام وغارس الاسلام وحجة الانبياء ومحجة الاولياء والسيف القاطع على الاعداء شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * فالنظر رأس السعادة عند أهل الدنيا والدين فبقاء الدولة وقاعدة الامور وأساس التدابير وصحة الاعتقاد وخلاصة التوحيد فى ناصية النظر كما أن أساس الكفر والشرك فى ناصية التقليد وتذكر ساعة فى صنع الله وتفكر لحظة فى فعل الله أفضل وأحسن من عبادة سبعمائة سنة قيام ليلها وصيام نهارها واليه اشارة قوله صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة لان النظر يوصل العبد الى المعرفة فيعرف الله تعالى ومن عرف الله تعالى فقد نال العز الابدى والسعادة الكلية يا بردها على الفؤاد والكبد فأهل الدين بالنظر يعرفون حقيقة الدين والمعارف كما أن أهل الدنيا بالنظر يحصلون مقاصد الدنيا ولا يمكن معرفة سبيل النجاة من الهلاك الا بالنظر عرفه من عرفه وجهله من جهله

﴿ الفصل الثانى فى حده وحقيقته ﴾

فأقول حقيقة النظر هو الفكر فى حال المنظور فيه لمعرفة حكمه وقيل هو فكر القلب فى شاهد يدل على غائب فان قيل أطنبت الخطبة وأحسنت السؤل فما حجتك على صحته وانه مؤد الى العلم فأقول فى العالم حق و باطل والناس صنفان أهل الحق وأهل الباطل وأصحاب الصدق وأصحاب الكذب ولا يتصور معرفة الحق من الباطل الا بالنظر فالآدمى خلق كامل الرأى عظيم التدبير داركا للمعانى وأعطاه الله الادراك وهو العقل فاذا استعمله على وجهه وقع عنده العلم بالمنظور فيه كما يقع العلم بالمدركات عند الادراك فعند فتح الاجفان يبصر الاشياء وعند الاستماع والاصغاء يسمع وعند الاستعمال اللسان يتكلم فعند النظر يعلم ولو كان فاسد الم يتضمن العلم لان الفاسد لا يحكم له بقضية صحيحة والدليل على ان النظر يوصل الى العلم وهو طريق الحقائق فزع العقلاء اليه اذا التبس عليهم حكم شئ من الغائبات كما يفزعون الى البصر والسمع فى تعريف مايخفى من أحوال المرئيات والمسموعات واذا التبس عليهم شئ من أحوال الحواس الذوق والشم واللمس رجعوا الى النظر (دليل آخر) عرفنا أن النظر دليل الى العلم ضرورة فان عقلاء العالم وجهابذة المعانى مهما نزلت بهم نازلة أو حدث لهم حادث من المشكلات المهمات فزعوا الى النظر وتفكروا وتدبروا ليعرفوا وجه الصواب من الخطأ والحق من الباطل فعرفنا بضرورة العقل أن النظر طريق العلم فها نحن معاشر المسلمين نعرف الحق من الباطل بالنظر ونعرف الكفر من الايمان بالنظر ونعرف الله ورسوله بالنظر وأن الباطنية شر خليقة الله وهم زنادقة كفار ودهرية ضلال ونعرف أن التقليد باطل ولا معصوم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رغم الباطنية أعداء الله كل ذلك بالنظر وقد قيل كيف نعرف النظر أو نعرف الشئ بالشئ هذا بديع فى القياس بعيد ياقاضى العدل اذا حكم عدل فأقول عن صبوح يرفعون عرفت شيأ وغابت عنك أشياء عرفت صحة النظر بما أعلم به صحته فى نفسه فتصحيح الشئ بما يدعى له الصحة غير متناقض وافساد الشئ بما يدعى

له الفساد متناقض لانى اذا صححت النظر بجزء من المنظور دخل ذلك الجزء من النظر أيضا فى جملة ما صححته فعرفت صحته مما به صحته فى نفسه

﴿ الفصل الثالث فى وجوبه ﴾

فأقول ان النظر واجب لان معرفة الله تعالى واجبة ولان تاركه لا يأمن العقاب وهذا معنى الواجب و بيان أن معرفة الله تعالى واجبة الآيات الدالة عليها واجماع الامة فاما الآيات فقوله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله فاعلموا أن الله مولاكم قل انظروا ماذا فى السموات والارض ان فى خلق السموات والارض حتى قال العلماء نزلت ثلثمائة آية فى الحث على النظر والمعرفة والاجماع منعقد على ذلك ولأن شيأ من الشرائع فى الصلاة والزكاة والقرب لا يصح التقرب به الى الله تعالى الا بعد معرفة الله سبحانه لان العبادة لا يصح أداؤها الا بالنية والنية قصد القلب الى افراد الرب بالعبادة وقصد من لا يعرف بافراد العبادة لا يصح واعلم أن الطريق الى المعرفة هو النظر الصحيح فان معرفة الله تعالى ليست ضرورية اذ لو كانت لما تصور فيه الخلاف كمعرفة الليل والنهار ووجود الآدمى فاذا ثبت أن معرفة الله سبحانه لا تمكن الا بالنظر فالنظر واجب لان ما لم تتأد العبادة الا به كان واجبا فى نفسه كالصلاة لا تؤدى الا بالطهارة فلا جرم تكون الطهارة واجبة والأمر بالصعود الى السطح أمر بنصب السلم

﴿ الباب الثانى فى أول ما يجب على العباد المكلفين ﴾

ان أول ما يجب على المكلف القصد الى النظر المؤدى الى معرفة الله تعالى فان قلت انك مدع واذا آل الامر الى الدعاوى استوى كل طائع وغاو فأقول ما أبين الصبح لذى عينين وان الرحيل أحد اليومين والدليل عليه أن معرفة الله تعالى واجبة بالآيات المتقدمة والسعادة هى اليقين والدنيا هى فتنة الدين وما سواه فضلال مبين فاذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون واعلم أن الواجب اشتقاقه من السقوط واللزوم يقال وجب الحائط اذا سقط وحده فى الشرع المنقول وقضية المعقول ما يستوجب اللزوم والعقاب بتركه وحد النظر هو فكر القلب

وتأمله فى حال المنظور فيه وأقمت الدليل على أن قاعدة الدين هو النظر لان المسلمين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى منقرض العالم اذا نزلت بهم نازلة يرجعون الى النظر والفكر سواء كان فى أمر الدين أو الدنيا ويقول بعضهم لبعض انظروا وتفكروا ولا يقولون اسمعوا وتقلدوا خلافا لما يدعيه الباطنية الضلال والملاحدة الجهال وقال تعالى هل عندكم من علم ولم يقل من معلم وقال هاتوا برهانكم ولم يقل معصومكم و بركاتكم وقال اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ولم يقل يسمعوا وقال عربى مبين ولم يقل حبشى فعرفت أن الدين بالحجة والبرهان دون التقليد الذى هو عصا العميان والعقلاء بقضهم وقضيضهم ينظرون فى أمر الدين والدنيا لمعرفة الصالح من الفاسد والسار من الضار فلولا انه طريق واضح ومنهج لائح لما فزعوا اليه

فالناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

فان قيل يا ناصر الدين وفارس المتقين لقد شفيت علتى وأزحت غلتى فمن الموجب الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو العقل ففى هذا مزلة الاقدام ومدحض الاقوام فأقول .

أباهند فلا تعجل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقينا

الموجب هو الله سبحانه لانه خالق الاعيان وموجد الخلائق فالاصل فى الخطاب خطاب الله تعالى فانه دليل بنفسه وما بعده من الخطاب فرع خطاب الله صار بخطاب الله دليلا من حيث انه خالق الاعيان له الخلق والامر وما سواه دليل من وجه ومدلول من وجه مثلا خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه مدلول خطاب الله اذ بخطاب الله صار دليلا قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلولا خطاب الله لما عرفنا خطاب رسول الله وخطاب رسول الله دليل الاجماع والاجماع مدلوله وهو دليل القياس والقياس مدلوله وهو دليل الحكم والخطاب أمر ونهى وهما سيان فى حقيقة الطلب والاستدعاء فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب بأمر الله وطاعته مفترض لامر الله فاذا أمرنا الله

بشئ ونهانا عن شئ فكأنا نسمع خطاب الله بتبليغ رسول الله و بواسطته لانا لا نسمع من الله شفاها والرسول مبلغ ومبشر ومنذر بشير للموحدين ونذير للملحدين وكذلك أقوال الصحابة رضى الله عنهم حجة بخطاب رسول الله وأقوال العلماء حجة بخطاب الرسول وطاعة الامراء واجبة بقول الرسول وطاعة الزوج على زوجته والسيد على غلمانه واجبة بقول رسول الله فليعلم بان هذا أصل عظيم (سؤال عظيم) اشتبه على زهاء خمسمائة فلسفى قالوا كيف نعرف النبى أنه نبى فان الله لا يخاطبه مواجهة ولو جاءه ملك احتمل أنه شيطان تصور بصورة ملك فكيف نثق بقوله ﴿ الجواب ﴾ البراهمة أو تواحين كفروا من هذه الشبهة واهيا لكبيرة الاعلى الخاشعين فنقول نعرف النبى انه نبى بطرق * الاول أن يخلق الله له علما ضرور يا فنعرف أنه رسول الله * الطريق الثانى أن يظهر الله آيات وعلامات فيضطر الرسول الى أنه من قبل الله وأن البشر يعجز عن مثله * الثالث أن يخبره الله بما فى قلبه وصدره فيضطر النبى الى معرفة كلامه لان الغيب لا يعلمه الا الله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا

﴿ الباب الثالث فى التوحيد ﴾

فان قيل ماحد التوحيد من الموحد فأقول على الخبير سقطت حد التوحيد العلم بان الله سبحانه واحد بصفاته التى هو عليها من كونه حيا قادرا عالما مريدا سميعا بصيرا متكلما والموحد هو العالم بان الله واحد حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم والتوحيد أن يعلم أن الله واحد قديم لم يزل ولا يزال كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان عالم بعلم أزلى قادر بقدرة أزلية يعلم مثاقيل الجبال وأوزانها وأوراق الأشجار وكمياتها وقطرات البحار ويعلم عدد الحيوان والدواب ومواضعها ويعلم كم المؤمن وكم الكافر وكم الذكر وكم الأنثى وكم الأحياء وكم الاموات يسمع كلام نفسه لا يدخل فى الوهم منزه عن التقدير والتحديد مقدس عن خطرات الخاطر لان كل مايقدره الوهم يكون متلونا مقدرا أومشبها بشئ والله مقدس عن جميع ذلك وكل مايخطر بالبال فالله بخلاف ذلك الشئ وخالق

ذلك الشيء فمن اعتقد هذا فهو من موحد حقا وجملة التوحيد في حرف واحد وهو أن يعلم العبد ان القديم لا يشبه المحدث وان الله سبحانه لا يجوز عليه الاتصال والانفصال والقرب والبعد والحلول والانتقال والطبع والغش وقال بعض العلماء خلاصة التوحيد أن يعتقد العبد ان كل ما يتقدر في الوهم ويتصور في الخاطر فالله بخلاف ذلك وخالق ذلك وان الله تعالى غير مشبه بالذوات وذاته غير معطلة عن الصفات

﴿ الباب الرابع في نكت الأئمة في التوحيد ﴾

أول دليل على أجل جليل قال الامام المطلبي رضي الله عنه استقبلني سبعة عشر زنديقا في طريق غزة فقالوا ما الدليل على الصانع فقلت لهم ان ذكرت دليلا شافيا هل تؤمنون قالوا نعم قلت نرى ورق الفرصاد طبعها ولونها وريحها سواء فيأكلها دود القز فيخرج من جوفها الابريسم ويأكلها النحل فيخرج من جوفها العسل وتأكلها الشاة فيخرج من جوفها البعر فالطبع واحد إن كان موجبا عندك فيجب ان يوجب شيأ واحدا لان الحقيقة الواحدة لا توجب الاشيأ واحدا ولا توجب متضادات متنافرات ومن جوز هذا كان عن المنقول خارجا وفي التيه والجا فانظر كيف تغيرت الحالات عليها فعرفت انه فعل صانع عالم قادر يحول عليها الاحوال ويغير التارات قال فبهتوا ثم قالوا لقد أتيت بالعجب العجاب فآمنوا وحسن إيمانهم * وجاء رجل الى الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقال ما الدليل على الصانع قال أعجب دليل النطفة التي في الرحم والجنين في البطن يخلقه الله في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ثم ان كان كما زعم افلاطون الزنديق ان في الرحم قالبا منطبعا ينطبع الجنين فيه فلزم الحمار أن يكون الولد إما مينانا أو مذكارا لان الحقيقة لا تختلف فلما رأينا المرأة تلد ذكرا ومرة أنثى ومرة توأمين وطورا ثلاثة وتريد أن تلد فلا تلد وتريد أن لا تلد فتلد وتريد الذكر فتكون أنثى وتريد الانثى فيكون الذكر على خلاف اختيار الأبوين فعرفنا قطعا انه قدرة قادر عالم حكيم وان الفلاسفة ينادون من مكان بعيد لقد هلكوا وبالله كفروا

و وقعوا فى الهوى فتبا لمن يدعى الفهم وهو أعمى ﴿دليل﴾ قال الشافعى رضى الله عنه وقد سئل عن التوحيد فقال رأيت قلعة حصينة ملساء ولا فرجة فيها ظاهرها كالفضة و باطنها كالذهب الابريز وجدرانها حصينة محكمة ثم رأيت الجدار ينشق فيخرج من القلعة حيوان سميع بصير مصوت فعلمت ضرورة أن الطبيعة لا تقدر على ذلك وانه فعل صانع حكيم فالقلعة هى البيضة والحيوان هو الدجاجة ﴿دليل آخر﴾ سأل هرون الرشيد الشافعى رضى الله عنه عن التوحيد فقال اختلاف الاصوات وترددات النغمات وتفاوت اللغات يا أمير المؤمنين دليل على أن المحرك واحد والنيران الموقدة المتضادة فى تركيب الآدمى فيأتلف بعضها على بعض لمصلحة البنية وقوام البشرية دليل على الصانع ﴿دليل آخر﴾ قال حكيم اسأل الارض من شقق أنهارك وأوتد أوتادك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك جؤارا فقد أجابتك اعتبارا ويقال شيئان صامتان ناطقان الوقت والقبر ويقال ما الاشياء الصامتة الناطقة يقال الدلائل المخبرة والعبر الواعظة ﴿دليل آخر﴾ ذكره المقدسى قال من له ملك العالمين والناس أجمعين عنده صواعق الزلزلة وطوارق الحوادث فى وقت الاضطرار فى البرارى والبحار لذى الجوع والعطش الى الله تعالى فهذا دليل على الصانع فان المؤمن والكافر اذا اضطرا فى البر والبحر لا يفزعان الى الشجر والحجر بل يفزعان الى الله سبحانه كما يفزع الصبى الى ثدى أمه فأمة الترك تقول ياتكرى وأمة الهند تقول يالاخ وأمة المجوس تقول يايردان وأمة العرب تقول ياألله وأمة العجم تقول ياخداى * قال زيد بن عمير فى الجاهلية

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا * وقولا رضيا لا يني الدهر باقيا
الى الملك الأعلى الذى ليس فوقه * إله ولا رب سواه مدانيا
فأنت الذى من فضل منّ ورحمة * بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب مع هرون فناديا * الى الله فرعون الذى هو طاغيا

﴿دليل آخر﴾ سئل الشافعى رضى الله عنه عن التوحيد فقال بالنوم واليقظة

عرفت الرب أريد السهر فيغلبني النوم وأريد أن أنام فيغلبني السهر ترى الرجل العادي الضخم العبل يغلبه النوم من اختياراته وقد أسره وقد قال العلماء النوم واليقظة مثل الحياة والنشور وكما يشتهي أن يبيت لا يشتهي أن يموت وكما لا يشتهي في حال النوم أن يستيقظ لا يشتهي أن يحيا فيحيا إلا باذن الله ذلك تقدير العزيز العليم ﴿دليل آخر﴾ قال الحسن بن علي عرفت الله بنسخ العزائم ونقض الهمم وضعف الأركان وتحويل الحالات في الأزمان * وقال آخر بموت الملوك وابقاء الفقراء * وقال آخر بحظ الجهول وحرمان العاقل * وقال آخر عرفت الله بليل داج ونهار وهاج وسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج ورياح ذات عجاج وأرض ذات سبل وفجاج وجبال مثبتة بلا درج ومعراج دليل على رب حكيم فراج ﴿دليل آخر﴾ قال شمس براق ومعصرات ذات ابراق وأشجار ذات أوراق وقلوب ذات فرح وانشقاق دليل على حكيم خلاق

الحمد لله كم في الارض من حكم * تنبي اللبيب عن الأيام والقدر
ان شئت في فلك أو شئت في رجل * أو شئت في مدر أو شئت في حجر
كل يدل بأن الله خالقه * لا يستطيع دفاع النفع والضرر

فلنمسك عنان القلم فان هذا الباب لا ينتهي الى حد

﴿الباب الخامس في عجائب خلق الانسان﴾

ولقد أبدع الله سبحانه معاشر المسلمين الآدمي في صورة عجيبة وخلقة بديعة يعلم بعقله ويعي ببصيرته ويتكلم بلسانه فاليدان لاستخدام الاشياء والرجلان للسعي والعينان لمشاهدة الدنيا والمعدة للهضم والكبد لطبخ الغذاء والطحال للفكرة والامعاء للفضول والفرج لاقامة النسل والذكر آلة لذلك فتبارك الله أحسن الخالقين والرأس أشرف الاعضاء ويقال الرأس صومعة الحواس ومضاده من القلب وخلقه بأعضاء مفردة ومزدوجة فالمفرد مذكر في اللغة والمزدوج مؤنث فجعل الرأس مفردا للاكتفاء به فلو جعل له رأسين لكان زيادة من غير فائدة وخلق اليدين مزدوجة لحاجة كل واحدة الى اعانة الأخرى كما قال الصادق رضي

الله عنه خلق الله فى شبر من الانسان أربع جواهر وهم العينان وماؤهما مالح ولولاه لذابتا لانهما شحمة والأذن وماؤها مر ولولاه لما امتنعت الهوام من دخولها والمنخر وفيه حموضة الاستر واح والاستنشاق والفم وماؤها عذب الاستطعام فسبحان من أنطقه بلحم وأبصره بشحم وأسمعه بعظم وأعجب من هذا تصور فى الرحم فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا تراه عين ولا تناله يد فيخرج سويا فلو خلق له لسانين لكانا ثقيلين عليه من غير حاجة فلو تكلم بأحدهما كان الآخر معطلا وان تكلم بكلام واحد كان أحدهما لغوا وان تكلم على خلافه لم يدر السامع على أى القولين يقول فتبارك من جعل لمنافذ البول والغائط اشراجا يضبطها لكى لا يجرى جريادائما فيفسد عليه عيشته وفى حسن التدبير أن يكون الخلاء فى أستر موضع من الدار فكذا المنفذ المهيأ للخلاء فى جسد الانسان فى أستر موضع وجعل الريق يجرى دائما الى الحلق فلا يجف فلو جف الحلق واللهاة والفم لهلك الانسان فتفكر وامعشر العقلاء وتأمل ياصدر المعالى وعلم الرؤساء فى الحفظ والفهم فلو عدم الآدمى الحفظ والفهم لاختل عيشه فلم يحفظ ماله وما عليه وما أخذ وما أعطى وما يتذكر من أحسن اليه ممن أساء وتفكر فى النسيان وعظم نعمة الله فيه فلولاه لما سلا أحد عن مصيبته ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ثم تفكر فى الحياء خص به الآدمى دون سائر الأشياء فلولاه لم يقر الضيف ولم يقع الوفاء بالعدات ولم تقض الحوائج ولم يتخير الجميل ولم يتجنب القبيح وتفكر فى كتمان الأجل فلو علم الآدمى مدة حياته وكمية عمره لتنغص عيشه فلو عرف مقداره وكان قصيرا لم يهنأ بعيش مع ترقب الموت بل كان بمنزلة من قد فنى ماله وأشرف على الهلاك ولو كان طويل العمر وثق بالعمر فانهمك فى اللذات على أنه يبلغ شهوته ثم يتوب وهذا مذهب لا يرضاه الله تعالى من العباد ثم تأمل آخرا فى الاشياء المعدة فى العالم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن والنحاس للأوانى والذهب والفضة للمعاملة والجوهر للذخر والحبوب للغذاء والثمار للتفكه واللحوم للأكل والطيب للتلذذ والأدوية للتصحيح

والدواب للحمولة والحطب للوقود والحشيش للدواب والمسك والعنبر للشم فلم يقدر المحصي أن يحصي هذا الجنس ولو صنفنا كتابا في هذا الجنس لما استقصينا افراده والله تعالى أعلم

﴿ الباب السادس في مسئلة داخل العالم وخارجه ﴾

اعلم أن الملاحدة لعنهم الله استغوت عوام المسلمين وضعفاء المؤمنين بهذه المسئلة فقالوا كيف تعرفون الله وهو لا داخل العالم ولا خارجه وقد قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره فلا يمكن معرفة الله من جهة العقل وانما تمكن من جهة المعصوم كما هو مذهبنا * نقول من قال ان معرفة الله تعالى مستحيلة غير معقولة فقوله إلحاد كقولكم لانه مخالف للكتاب والسنة وأقوال مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي ومخالف للمعقول أما الكتاب فقال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله فاعلموا ان الله مولاكم فلو لم تكن معرفة الله تعالى ممكنة كان الخطاب محالا فان الشرع لا يخالف قضيات المعقول بقول الآدمي لا ينظر والأعمى لا يبصر والانبياء بعثوا لدعاء الخلق الى الله وأما المعقول فالصنع لا بد له من صانع والعالم مصنوع فلا بد له من هذا اما نحن نعرفه بتأويل عقولنا فن اجتاز في برية فرأى قصرا مشيدا او بناء رفيعا فجوز من نفسه انه انفعل بنفسه من غير فاعل لم يكن انسانا بل يكون مجنونا بمارستان فالعالم مع تركيبه العجيب لا يكون أقل من بناء جص وهذا ظاهر فان قالوا أردنا به انه لا تعرف كيفيته ولا آنيته * الجواب قلنا يا مخاذيل هذا تلبيس ابليس فكيف تدعون كيفيته ولا كيفية له وكيف تنسبون آنية ولا آنية له فوصفه بشئ يستحيل في حقه محال وقوله لا داخل العالم ولا خارجه قلنا هذا السؤال في نفسه محال لان قائله لا يخلو إما أن يكون مقرا بأن العالم محدث أو منكرا فان كان مقرا فلا كلام معه لانه اذا علم أن تفسير العالم كل موجود سوى الله كيف يستجيز أن يكون القديم ملابسا ومماسا كلا للحادث وخارج العالم عدم محض فكيف يقال ذات البارى في العدم فعرفت أن السؤال محال والجواب الصحيح أن تقول البارى واجب الوجود فكان قبل العالم

وجوده واجبا لا يعقل زمان لا يكون فكان ولا مكان ولا تقدير مكان فلما خلق العالم كان على ما كان والتغيير انما يرجع الى الحدوث أما من كان واجب الوجود فتغيره محال فلاح من هذا الاصل ان العالم عبارة عن المكان والمكان جوهر والجوهر والعرض مخلوقان والله ليس بمحدود وليس من جنس الجواهر والاعراض حتى يوصف بأنه داخل العالم وخارجه

﴿ الباب السابع فيما يلزم المكلف اعتقاده ﴾

وذلك أن يعلم حدوث نفسه وحدوث جميع العالم وان الجواهر والاعراض محدثة واخراجه من العدم الى الوجود وجعل أعيان العالم أعيانا وأعراضها أعراضا ويعتقد أن الصانع واحد قديم لم يزل موجودا ولا يزال باقيا ولا يعدم ولا يفنى ولا يجوز عليه التغير والانتقال وانه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا صورة ولا جسد ولا حركة ولا سكون ولا غم ولا فرح ولا سهو ولا غفلة وانه بلا كيفية ولا آنية وأنه منفرد باحداث الاعيان لا خالق غيره ثم يعتقد قدم الصفات من قدرته وعلمه وحياته بلا روح ولا نفس وقدرته على مقتدراته قدرة واحدة ويدرك بسمعه جميع المسموعات ويبصر جميع المرئيات ويرى ذاته وكلامه أزليا صفة قديمة قائمة به فيهدى من يشاء ويضل من يشاء لا ضار ولا نافع الا هو ولا استطاعة مع الفعل ولا حجة على الله ولا حكم بل هو الحاكم له الحكم والامر بعثه الرسل جائز وأن محمدا رسول الله بالمعجزة الصادقة وشريعته مؤيدة باقية الى يوم القيامة والاجماع حق والجنة والنار حق والصراط والميزان والحساب ويوم القيامة حق وسؤال الملكين فى القبر حق والعذاب فى القبر لاهل العذاب حق والشفاعة حق ومن شك فى شئ من ذلك فهو كافر ويعتقد أن الامامة لابى بكر أولا ثم لعمر ثم لعثمان ثم لعلى ويعتقد فى الباطنية والحلولية والناسخية أنهم مرتدون شر من المجوس هذا أقل ما يلزم المكلف اعتقاده

﴿ الباب الثامن فى فرق الامة ﴾

افترقت الأمة من أهل القبلة على اثنين وسبعين فرقة أهل الحق منهم السنية

الاشعرية ومن سواهم فضلال فالطائفة الأولى غلاة المعتزلة ينفون الصفات وغلاة المشبهة يثبتون الجوارح والمكان لله تعالى والقدرية يثبتون القدرة لأنفسهم و يزعمون أن العبد خالق أفعاله والجبرة ينفون القدرة للعبد والمرجئة والخوارج والنجارية والجهمية والروافض والحرورية فالمعتزلة عشرون فرقة الواصلية أصحاب واصل بن عطاء والعمروية أصحاب عمرو بن عبيد والهذيلية أصحاب الهذيل علان والنظامية أصحاب نظام والاسوارية والاسكافية والبشرية أصحاب بشر معتمد و بشر موسى والمكارية والهاشمية والحائطية أصحاب أحمد بن حائط والحارية أصحاب عسكر مكرم والمعمرية أصحاب معمر بن عباد والثمامية أصحاب ثمامة بن أشرس والجاحظية والكعبية والجنانية والبهشمية والشيطانية (فصل) أما المشبهة فتفرقوا على عشرين فرقة الهاشمية أصحاب هشام والمعيرية والمنهالية والزرارية واليونسية والكلابية أصحاب عبد الله بن كلاب والزهيرية والحشرجية والكرامية والمأمونية (فصل) والجبرية ثلاث فرق الجهمية أصحاب جهم بن صفوان الترمذى والبكرية والضرارية (فصل) والمرجئة ثلاث فرق اليونسية الغحانية اليونانية اليومنية (فصل) النجارية البرغوثية الزعفرانية المستدركية (فصل) أما الروافض فأربع وعشرون فرقة أربع فرق الغلاة السبانية والبابية المغيرة الهشامية والجناحية والمنصورية واليونسية والزيدية والصالحية والجارودية الحريرية اليعقوبية البترية الكيسانية الشريكية التناسخية الخليفية يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير الامام الرجعية المترفضة (فصل) أما الخوارج فعشرون فرقة الاباضية المحكمية الازارقة النجدية الصعرية الميمونية العشيبية الحرية الحارمية المجهولية الصليتية الأخنسية المعبدية الرشيدية السابية اليزيدية الحارثية المكربية الفضيلية السمراخية الضحاكية فهؤلاء فرق الأمة ضلوا وأضلوا و بقى من وفقه الله وعصمه على الحق فماذا بعد الحق الا الضلال

﴿ الباب التاسع فى حكم من تبلغه الدعوة ﴾

قال الشافعى رضى الله عنه ولا أظن أن فى وجه الارض أحدا لم تبلغه دعوة رسوله

الله صلى الله عليه وسلم فلو قدر أن أناسا فى جزيرة أو بلدة فى أقصى العالم من الترك والروم أو الهند لم تبلغه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يجوز قتالهم مالم تعرض الدعوة عليهم ولا يجب عليهم أن يسلموا من قبل العقل لأنه آلة وليس بموجب والموجب هو الله تعالى فان قتل منهم أحد تؤخذ ديته وان ماتوا قبل سماع الدعوة فلا عقاب ولا حساب لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقالت المعتزلة يجب عليهم أن يؤمنوا بالله تعالى بناء على أصلهم ان العقل موجب للمعرفة وان عرضت عليهم الدعوة فأبوا وامتنعوا فهم معاندون يجب قتالهم (قاعدة) يتصور عقلا على مذهب أهل السنة أن يكون جماعة فى جزيرة لم يأتهم رسول ولا معصوم فنظروا وتفكروا من قبل أنفسهم فعرفوا الله سبحانه وآمنوا به وان لم يروا نبيا قط وقالت الملاحدة لعنهم الله لا يتصور ذلك وان عمروا ألف سنة ونظروا ألف سنة لان المعرفة عندهم سمعية تتلقى من النبى أو الامام المعصوم وهذا خزى من قائله قاتلهم الله أنى يؤفكون

﴿ كتاب أحكام النبوة وفيه أحد عشر بابا ﴾

(الباب الاول فى تفسير النبوة)

اعلم أن النبوة ليست بمكتسبة ولا هى صفة النبى صلى الله عليه وسلم وليست بجسم فيوضع على الطبق وأما تفسير النبوة فمعناها تعلق خطاب الله تعالى بشخص أن يقول له أنت رسول وقد بعثتك الى أمة كذا لتدعوهم الى كذا فحينئذ تثبت رسالته و يجب على الخلق طاعته ولا يتعلق هذا بكسب بشر ولا يحصل بجهد آدمى ولو أنفق عمره فى الرياضة وأذاب مهجته فيها فليت شعرى ماعمل عيسى فى المهد حين قال انى عبد الله وما فعل خليل الله فى صباه حين قال انى وجهت وجهى وماذا كسب آدم صلى الله عليه وسلم ببديع فطرته حين قال من تراب ثم اصطفاه واجتباه واخوة يوسف مع مافعلوا مع يوسف خصوا بالنبوة وموسى صلى الله عليه وسلم كان يرعى لشعيب الغنم فأعطاه الله النبوة هيهات هيهات لا كسب ولا رياضة ولا جهد ولا دراسة بل نبأ أعناية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد ضل فى

هذا الباب عالم وهلك جماعة وغرق فى بحار الفكر جميع الفلاسفة فقالوا النبوة مكتسبة يمكن كسبها بالرياضة فيقال لهم ياضلال استحيوا من الله حق الحياء فان محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى اجارة خديجة رضى الله عنها يعمل لها وكان يرعى فأدرجت النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم ثم منذ استأثر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ونقله الى جنته قد مضى زهاء خمسمائة سنة وأربعين سنة أما كان رجل من هذا العالم العظيم أن يصفى نفسه ويروض طبعه لينال النبوة ثم أنتم بعد تقشفكم وعزوبكم من طيبات الدنيا يسكن أحدكم حيا فارغا طول الدهر لا يأكل شيأ من الدنيا ومع ذلك لم يكن أحد فيكم ادعى النبوة لا كان ولا يكون الدهر الى يوم القيامة فأمسكوا عن هذيانكم واقصروا عن بهتانكم ومن قال ان الانسان برياضة القلب وبمجاهدته للنفس يصل الى العالم الروحانى فذلك زنديق يقرع باب الزندقة بل صفاء القلب من فضل الله وسواد القلب من خلق الله لا خالق الا الله لا علة ولا معلول ولا طبيعة ولا مصنوع بل الله صانع وما سواه مصنوع فكم رأينا من رجل جاهد وهاجر وراض نفسه بالمجاهدات الشاقة فحاصل الاعلى السوداء البحت والماليخوليا الصرف وكم رأينا من يتمرغ فى النعيم يغدو بجفان ويروح بجفان وقد حصل له كرامات وولايات وليس باتفاق نخذوا حذركم فأى طاعة أكثر من طاعة ابليس وعاقبته اللعنة وأى معصية فوق معصية سحرة فرعون وخاتمتهم الرحمة قال الاستاذ أبو اسحق ان بعض الفلاسفة خدع بعض الناس وقال انكم تصلون بالرياضة وصفاء القلب الى عالم الروح ومن عالم الروح الى عالم الملكوت ومن عالم الملكوت الى عالم الغيب فالمساكين هجروا الديار والاوطان وأقبلوا على أكل الحشيش ومساكنة الجبال ومرافقة الوحوش نخفف دماغهم وأخذتهم الماليخوليا فتعجلوا بالمعد السوداء وذهبت أعمالهم هباء ولم يحصلوا الاعلى سراب يحسبه الظمآن ماء (قاعدة مفيدة) خاصية النبى صلى الله عليه وسلم شيآن اثنان احداهما أن لا يكون فى نظره خطأ البتة فلا يعتريهم خطأ فى دين الله تعالى والله تعالى يعصم نظرهم عن الخطأ والنسيان ويجوز الخطأ

والنسيان على الأنبياء الا فى موضع واحد وهو تبليغ الرسالة فنى هذا الموضع لا يجوز فتأمل فى هذه النكتة والثانى ان الله قد شرفهم وأكرمهم باخبار الغيب أو واسطة ملك أو بنفسه أو بأن يخلق لهم علما يعرفون به أنه كلام الله أو غيب يظهره عليه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وما سوى ذلك فهو كسائر الآدميين

(الباب الثانى فى الرد على البراهمة)

جميع أهل القبلة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يجوزون أن يبعث الله أنبياء الى الخلق بالامر والنهى فيأمرهم و ينهاهم بواسطة رسالتهم لان الانبياء مبلغون وليسوا بموجبين وقالت البراهمة من أهل الهند لا يجوز بعثة الانبياء عقلا ولهم فى ذلك شبهتان (الاولى) قالوا لا يخلو ما جاء به الانبياء اما ان يكون موافقا للعقل أو مخالفا للعقل فان كان موافقا للعقل فلا حاجة الى النبى وان كان مخالفا للعقل فلا يمكن معرفته فاية حاجة الى النبي (الجواب) نقول يامعشر الجبر وأصحاب السعير عرفتم شيأ وغابت عنكم أشياء الشرع مؤكد للعقل مقرر له يرشد الى أشياء لا تدرك بمحض العقل فاذا لم يكن فى إرسال الرسل استحالة خروج عن حقيقة فيجب الحكم بجوازه وهذا لان العقل يقضى بتناول الدواء عند المرض ثم الاطباء يبينون قوانين الأدوية والتفصيل و يعرفون الضار من النافع فالحاجة ماسة الى الأنبياء فالاطباء أصحاب الأبدان والانبياء أصحاب الاديان وأيضا تفاصيل الشرعيات من اعداد الصلوات والحدود والكفارات لا يهتدى العقل اليها فالحاجة داعية الى الأنبياء فى بيان ذلك (الشبهة الثانية) الانبياء وردت بذبح البهائم من غير جريمة وهو قبيح فلهذا قلنا لا يجوز بعثة الانبياء (الجواب) هذه البهائم مملوكة لله تعالى تارة يؤلمها و يسقمها وتارة يميتها وتارة يأمر بذبحها والمالك أن يتصرف فى ملكه كما يشاء لا اعتراض عليه فلما جازله اماتتها جازله أن يأمر بذبحها ولأنها اذا تماوتت لا ينتفع بها أحد فأمر بذبحها لينتفع بها عبيده ولان الآدمى أشرف من البهائم وقد خلق محتاجا الى الأكل

والشرب ليكون له قوة ونشطة على عبادة الله وجهاد أعداء الله فالله حكيم وجعل البهائم فداء الآدمي وصيانة لقوته وكفاية لمعيشته ومن جعل الاخس فداء الأشرف يكون حكيما (جواب آخر) معظم أمر المعيشة مرتبط بجلودها من السرج واللجم والسياط والأنطاع والخفاف والخاد والاخبية فلو لم يجز لأدى ذلك الى الحرج ولا حرج في الدين

﴿ الباب الثالث في بيان أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا وصدقا ﴾

فان قال لك قائل ما الدليل على أن محمدا رسول الله فقل الدليل عليه أني أعلم ضرورة أن محمدا ادعى النبوة في مكة وتحدى بها وأظهر الله على يديه معجزات وآيات عجز الخلق عن الاتيان بمثلها وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ولم يعارضه معارض ومن أعظم الآيات أنه شخص واحد ظهر والعالم من الشرق الى الغرب يعوج بالكفر فقال يا قوم ها أنا أقول لكم ان دينكم باطل ومذهبكم فاسد وآباؤكم وأمهاتكم في النار وان متم على هذا الاعتقا فأنتم كلاب النار فها أنا أقول لكم هذا فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فلم يقدر أحد من العالم على دفعه ومعارضته فهذا من أدل دليل على الحق والقوم على الضلال (دليل آخر) ان الله أنزل عليه القرآن عربيا معجزة له ولو اجتمع الاولون والآخرون على أن يأتوا بمثله لا يقدرون عليه وكما أعلم ضرورة وقطعا ان بلدة في العالم يقال لها بغداد أعلم ان محمد ابن عبد الله ادعى النبوة وأظهر الله المعجزة على يده صلى الله عليه وسلم فأي دليل أدل من هذا فان قال لم يظهر محمد بعد فهو محال لان هذا معلوم بالضرورة وان قال لم يدع النبوة فمحال لانه معلوم بالضرورة نقل الينا تواترا انه ادعى النبوة وكان رجلا فردا أميا خرج وأهل الارض ذات الطول والعرض كلهم كفار فقال لهم اني رسول الله وأنتم على الباطل وآباؤكم في النار ومعجزتي القرآن فائتوا بسورة مثله وهم أهل الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن معارضته واشتغلوا بالقتال فان قلت فلعلهم عارضوه ولم ينقل الينا قلنا هذا من أمحل المحال فان آحاد الوقائع ومفردات الامور قد نقلت الينا تواترا فلو كان ذلك لنقل وهذا مقطوع بصحته

﴿ الباب الرابع فى شروط المعجزة ﴾

والمعجز فى الحقيقة خالق المعجزة وهو الله تعالى ولكن على طريق الاصطلاح سميت الخصلة التى يكون ظهورها عند مدعى النبوة معجزة وشروط المعجزة سبعة الاول أن تكون افعالا لان القديم لا اختصاص له بصادق دون كاذب الثانى أن تكون ناقضة للعادة لان الفعل المعتاد كما يوجد مع الصادق يوجد مع الكاذب والثالث أن تكون فى زمان التكليف لان الذى يظهر فى القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس أفعال ناقضة للعادة ليست بمعجزات لان الآخرة ليست بدار تكليف الرابع أن تكون مقرونة بالتحدى لانه يحصل أحيانا أفعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة الخامس أن تكون الدعوى مقرونة بالنبوة لان كرامات الاولياء عندنا جائزة وليست بمعجزة لانها لا تكون مقرونة بالدعوى السادس أن تكون متمكنة بصدق من ظهرت على يديه لانه اذا ادعى النبوة فأنطق الله اصبعا بأنه كاذب لم يكن دليلا له السابع أن تكون على وجه الابتداء لانه لو تلقف انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة ولم تبلغهم الدعوة وتنبأ هنالك لم تكن معجزة فهذه شروط المعجزة لتستمسك بها وامتحن بها فحول العلماء وأعلام الفضلاء تجد أكبرهم بمعزل عن معرفتها

﴿ الباب الخامس فى معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴾

اعلم أن لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة سوى القرآن وقد جمعها العلماء فى مجلدين تبلغ خلاصتها أربعة آلاف وخمسين معجزة وأظهرها القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فمنها دعاؤه على عتبة بن أبى لهب فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان فى قافلة فقال أبوه احفظوه فان محمدا قد دعا عليه فأخفوه تحت الرحال وأناخوا الجمال حواليه فبعث الله أسدا حتى كان يشم القوم واحدا واحدا وافترسه ورضض عظامه (معجزة أخرى) دعا على أربد وعلى عامر بن الطفيل فأربد أصابته صاعقة من السماء فاحرقته وعامر طعن فى بيت عجوز سلولية فمات فيه وكان يقول غدة كغدة البعير (معجزة أخرى)

لما أنشد النابغة الجعدي شعرا بين يديه فاستحسنه فقال لا فض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم يسقط له سن وقيل متى سقط واحد من أسنانه نبت مكانه أحسن منه (معجزة أخرى) أخذ كفا من الحصى فكانت تسبح وتهلل على يديه وتقول سبحانه وبحمده (معجزة أخرى) لما اتخذ له منبر على ثلاث درج لازدحام الناس كان هنالك جذع يستند اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحن الجذع مثل حنين المرأة عند الطلق بحيث سمع الناس حنينه فنزل من أعلى المنبر واحتضنه واعتنقه حتى سكن وامتلأ المسجد بالضجيج والبكاء (معجزة أخرى) في صميم الشتاء دعا بشجرة يابسة فأجابته وشقت الارض حتى جاءت اليه (معجزة أخرى) نبع الماء من خلال أصابعه حتى روى منه عسكره وتوضؤا (معجزة أخرى) تفل في بئر قد غار ماؤها فنبع حتى بلغ رأس البئر وتفل مرة أخرى في بئر الحديبية حتى روى ألف رجل وخمسمائة رجل (معجزة أخرى) قد كمن قريش وهم مائة نفر لقتله وحاشا لصنع الله أن يتغير فخرج ونفض على رؤسهم التراب ولم يره أحد (معجزة أخرى) قال لرجال من أصحابه ان ضرس أحدكم في جهنم مثل أحد فخافوا من ذلك وكان يلتفت بعضهم الى بعض وفيهم رجل فارتد والعياذ بالله وقتل على ردته (معجزة أخرى) أخبر انه يقتل أبي بن خلف الجمحي وكان كما ذكر (معجزة أخرى) يوم بدر أخبر عن مصارع قتلى قريش ويقول ان فلانا يقتل بهذا الموضع وفلانا يقتل في هذا المكان ويعين موضع كل واحد ومصرعه فكان كما ذكر (معجزة أخرى) طويت له الارض حتى رأى مشارقها ومغاربها وأخبر ان ملك أمته سيبلغ اليها (معجزة أخرى) قلعت عين قتادة فوضعها في كفه وجاء اليه فوضع يده المباركة عليها وأعادها الى موضعها وتفل فيها فعادت كما كانت ولم ترمد عينه قط فلقب ذا العينين وتفاخر بذلك أبناؤه (معجزة أخرى) الحكم بن عامر كان يحاكي مشية النبي صلى الله عليه وسلم على طريق الاستهزاء فدعا عليه فصار مفلوجا مرتعشا باذن الله (معجزة أخرى) وكان تزوج بامرأة من قبيلة فتعلل أبوها وقال بها برص لا تصلح لك فقال صلى الله عليه

وسلم ليكن كذلك فأصابها برص فسميت أم سبيب البرصاء (معجزة أخرى) يوم أحد أصاب علي بن أبي طالب جراحات كثيرة يسيل منها الدم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بيده عليها وهي تلتحم وتلتئم باذن الله تعالى فكم يحصى من هذا

﴿ الباب السادس في نسب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن اد بن ادد بن الياس ابن مضر بن اليسع بن الهميسع بن سحب بن جميل بن ثبت بن سلمان بن حمد بن قيدار بن اسمعيل بن ابراهيم بن آزار بن رياح بن ناخور بن اسروع بن ارغو ابن فالور بن فالق بن عاسر بن سبغ بن ارنخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ بن يادر بن مهلابيل بن قنان بن انوش بن شيث بن آدم المخلوق من التراب صلى الله عليه وسلم (فصل) اسم أمه آمنة بنت وهب توفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين وتوفي أبوه وهو في بطن أمه وكفله جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين (فصل) أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر عشر سنين بالمدينة ميلاده يوم الاثنين في ربيع الاول ووفاته يوم الاثنين في ربيع الاول في آخر الضحى ودفن ليلة الاربعاء في وسط الليل كانوا يصلون عليه ولم يؤمهم أحد (فصل) أول امرأة تزوجها خديجة قبل الوحي ثم سودة بنت زمعة ثم عائشة بنت الصديق ثم زينب بنت خزيمة الهلالية ثم أم سلمة بنت أبي أمية ثم جويرية بنت الحارث الخزاعية ثم ميمونة بنت الحارث ثم صفية بنت حيي ثم زينب بنت جحش ثم حفصة بنت عمر ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان ثم العامرية بنت ظبيان طلقها حين دخل بها ثم الكلابية فاطمة بنت الضحاك ثم الكندية فهم أربع عشرة نسمة (فصل) وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة عائشة وحفصة وزينب وجويرية وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية وميمونة (فصل) أولاده من خديجة القاسم أكبر ولده ثم زينب ثم

ابنه عبد الله الطاهر ولد في الاسلام فسمى طاهرا ثم ابنته أم كلثوم ثم ابنته فاطمة ثم ابنته رقية زوّج فاطمة من عليّ ورقية من عثمان رضى الله عنهما فماتت فزوّجه أم كلثوم رضى الله عنها وزوّج زينب من أبى العاص بن الربيع فى الجاهلية فلما نزل الوحى ثبت على كفره فاسترد النبى صلى الله عليه وسلم ابنته منه على كره ثم أسلم بعد ست سنين فردها عليه ومات جميع أولاد النبى صلى الله عليه وسلم قبله الا فاطمة فانها عاشت بعده ستة أشهر رضى الله عنها

﴿ الباب السابع فى أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم فقالت خلقه القرآن يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ولا ينفرهم ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه ويحذر الناس ولا يقصر عن الحق ولا يتجاوز ولا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر الله ويجلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ويعطى كل جلسائه نصيبه ولا يحسب أحد من جلسائه ان أحدا أكرم عليه منه ومن جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ومن سأله حاجة لم ينصرف الا بها أو بميسور من القول مجلسه مجلس علم وحياء وصدق وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرمات وكان دائم البشر فى جلسائه سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا فحاش ولا عياب لا يذم أحدا ولا يطلب عوراته اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون وكان لا يغضبه شئ وكان أبر الناس وأكرم الناس ضحا كا بساما قال أنس ان امرأة كان فى عقلها شئ قالت يارسول الله ان لى اليك حاجة قال ياأم فلان خذى فى أى طريق شئت قومى فيه حتى أقوم معك فخلا معها رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيها حتى قضت حاجتها وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما سبنى قط ولا ضربنى ضربة قط ولا انتهرنى ولا عبس فى وجهى ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد من أهله قال

دعوه فلو قدر شيء كان وقال أنس أيضا رضي الله عنه أدرك اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بردائه فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عنق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت فيه حاشية الرداء من جذبته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء فلوان أزهد الناس قال لشحنة بلدة أو واليها اتق الله لأمر بضرب عنقه وكان أشد حياء من العذراء في خدرها وأتى بقليل من ذهب فقسمه بين أصحابه فقام بدوي وقال يا محمد ان الله أمرك أن تعدل فاعدلت فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه رويدا على * وكان في بعض الغزوات فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير أحد قدر قال اشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله قال لا غير اني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس وقسم يوما قسما فقال أنصاري ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فاحمر وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وعن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل فأعطاه غنما بين جبلين فأتى قومه فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألف درهم وهو أكثر مال ماأتي به أحد قط فوضع على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وقال لمعاذ حين بعثه الى اليمن يامعاذ اذا كان الشتاء فغلس بالفجر وأطل القراءة قدر مايطيق الناس ولا تملهم واذا كان الصيف فأسفر بالفجر فان الليل قصير والناس ينامون فأمهلهم حتى يدركوا وأعطى اعرابيا شيأ فقال أحسنت اليك قال لا ولا أجملت فغضب المسلمون وهموا به فقال صلى الله عليه وسلم كفوا عنه فأعطاه حتى رضي

﴿ الباب الثامن في كتب النبي صلى الله عليه وسلم التي أرسلها الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ﴾

فأول كتابه الى قيصر الروم رسوله دحية الكلبي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد

رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك
بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك إثم
الاريسيين يعنى المزارعين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فلما
افتض كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الروم إنى لأظن هذا
الذى بشر به عيسى ولو أعلم أنه هو لمشيت اليه حتى أخدمه بنفسى لا يسقط
ضوؤه إلا على يدى قالوا ما كان الله ليجعل ذلك فى الاعراب الامّيين ويدعنا
نحن أهل الكتاب فقال بينى وبينكم الانجيل نفتحه فان كان هو إياه آمنا به
وعلى الانجيل يومئذ اثنا عشر خاتما من ذهب وكل ملك قد أخبر قومه انه يوم
يفتحونه يذهب دينهم ويهلك ملكهم فلما أخذ أحد عشر خاتما وبقى واحد قامت
البطارقة فشقوا ثيابهم ونتفوا رؤسهم وقالوا اليوم يهلك ملكنا ويتغير دينك
قال فأسلم فسبوه وصاحوا فقال يا معشر الروم كنت أريد أن أختبر صلابتكم
فى دينكم فخروا له سجدا فلعن الله أئمة السوء والبطارقة أئمة الكفر لقد ضلوا
وأضلوا وأعطى رسوله مائة مثقال من الذهب ﴿ كتاب آخر ﴾ الى كسرى
فارس رسوله عبد الله بن حذافة من الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية
الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على
الكافرين اسلم تسلم فان أبيت فعليك إثم المجوس فقرأه ومزقه فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لرسول كسرى ابلغ صاحبك ان ربى قتل ربه هذه الليلة
لتسع ساعات مضت منها وهى ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاولى سنة
سبع وان الله مسلط عليه ابنه شيرويه فقتله وأخبره أن دينى سيظهر على ما ظهر
عليه فقضى الرسول الى باذان وأخبره بما قال وقال ما خفت شيأ قط خوفى إياه قال
باذان ويلك له حراس وشرط وسيوف قال لا ولكنه يمشى فى الاسواق وحده

فجاء رسول كسرى وقال انى قتلت كسرى غضبا فأسلم باذان ﴿ كتاب آخر ﴾
الى منذر بن ساوى العبدى رسوله العلاء بن الحضرمى بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل
فانه من صلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا له ما للمسلمين وعليه ما على
المسلمين ومن أبى فعليه الجزية ﴿ كتاب آخر ﴾ الى الحرث بن أبى شمر الغسانى
بغوطة دمشق بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر
الغسانى سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق الله وانى أدعوك الى أن تؤمن
بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب فقرأه ورمى به وقال من
ينزع منى ملكى أنا سائر اليه لو كان باليمن جئته على بالناس فلم يزل جالسا يعرض
عليه حتى الليل وأمر بالخيول أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى ومات الحرث
عام الفتح و وليه جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان فأدركه عمر بالجابية فأسلم و وطئ
رجل من مزينة إزار جبلة فانحل فلطم عينه ففقأها فجاء به الى عمر فقال خذ لى
بحقى فقال عمر الطم عينه فقال جبلة عينى وعينه سواء قال نعم قال لا اقيم أبدا بهذه
الارض فلحق بعمورية مرتدا ثم ندم على ذلك وله أبيات فى ندامته فمات بها
﴿ كتاب آخر ﴾ الى فروة الجذامى عامل قيصر على عمان فأسلم هو وكتب الى
النبى صلى الله عليه وسلم لمحمد رسول الله انى مقر بالاسلام مصدق به أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنت الذى بشر بك عيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام و بعث ببغلة بيضاء وحماره يعفور وأثواب سندس فلما قرأ النبى صلى الله
عليه وسلم كتابه أمر بلالا أن يكرم رسوله فلما أراد الخروج كتب من محمد
رسول الله الى فروة بن عمرو سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو أما بعد
فانه قدم علينا رسولك بكتابك و بلغ ما أرسلت به وأخبر عما قلت وأنبأنا باسلامك
وان الله قد هداك بهداه ان أصلحت وأطعت الله و رسوله وأقمت الصلاة وآتيت
الزكاة وأعطى رسوله خمسمائة درهم وأعطى البغلة للصديق رضى الله عنه و بلغ

قيصر إسلام فروة فحبسه فى السجن وقال ارجع الى دينك قال لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم ومات مصلوبا فى السجن رحمة الله عليه ﴿ كتاب آخر ﴾ الى المقوقس صاحب الاسكندرية رسوله حاطب بن أبى بلتعة بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك إثم القبط و ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله وختم الكتاب فأخذ الكتاب وجعله فى حق عاج ودعا كاتبه وكتب لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك وانى قرأت كتابك وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشأم وقد أكرمت رسولك و بعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم و بكسوة وقد أهديت اليك بغلة لتركبها والسلام ولم يسلم والبغلة دلدل ولم يكن فى العرب مثلها فبقيت الى زمن معاوية رضى الله عنه ومارية وأختها سيرين وعرض عليها النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام وكانت مارية جميلة فوطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرين وهبها لحسان بن ثابت رضى الله عنه والدلدل لعلى رضى الله عنه وقال لحاطب هذا رسول الله والقبط لا يطاوعوننى وأنا أضن بالملك أن أفارقه وسيظهر على البلاد و يطأ موضع قدمى هذا قال فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ومات فى ولاية عمرو بن العاص بمصر فدفن فى كنيسته

﴿ الباب التاسع فى خصائص النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

ولما خص الله سبحانه وتعالى نبيه بوحيه وأبان بينه و بين خلقه خفف أشياء شددها على غيره كرامة وتعظيما وشدد عليه أشياء خففها على غيره زيادة فى درجانه فالذى شدد عليه وأباح لغيره سبعة وعشرين شيأ أوجب عليه أن يخير نساءه وأوجب عليه صلاة الليل وحرم عليه صدقة الفريضة وصدقة التطوع وحرم عليه خائنة الأعين واذا لبس لامته لم يكن له أن ينزعها حتى يلقى العدو وأوجب عليه النكير

على المنكر وليس له أن يكتب ولا يتعلم شعرا وقال لئن أشركت ليحبطن عملك
وليس كذلك غيره حتى يموت وكان عليه قضاء دين من مات من المسلمين وكلف
وحده من العلم ما كلف العالم بأجمعهم وقال أما أنا فلا آكل متكئا وأمرت
بالسواك حتى خفت أن يفرض على أمتي ولا يأكل البصل والثوم والكراث
وقال لولا ان الملك يأتيني لأكلته وكان مطالبا برؤيته ومشاهدة الحق مع معاشرة
الناس وكان يغان على قلبه فيستغفر الله تعالى سبعين مرة وكان يؤخذ عن الدنيا
عند تلقي الروح وهو مطالب بأحكامها ولا يصلي على من عليه دين ثم نسخ ولا يجوز
له أن يبدل من أزواجه أحدا ثم نسخ وأبيح له سبعة وثلاثون حرام على غيره أبيح له
من النساء أكثر من أربع والموهوبة والنكاح بلا ولى ولا شاهدين وأبيح له
بتزويج الله وجاز له أن يعقد بغير استئمار ولى وجعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأباح له النكاح في الاحرام وتزوج صفية وجعل عتقها صداقها وأباح له الفيء
وأربعة اخماس الفيء وخمس خمس الغنيمة والحمى له خاص ودخول الحرم بغير
احرام والقتل في الحرم قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة والقتل بعد
اعطاء الأمان واستباح قتل من سبه أو هجاه امرأة كانت أو رجلا وجعل سبه
للمسلمين رحمة فهو له مباح والوصال مباح له وكان ينام ولا ينتقض وضوءه وصلاة
التطوع قاعدا كصلاته قائما واليه تنسب أولاد بناته والأنساب كلها منقطعة يوم
القيامة إلا نسبه وأبيح له أن يدعو المصلي فيجيبه وان كان في الصلاة وماله بعد موته
قائم على نفقته وملكه ودخول المسجد جنبا وأبيح له الحكم لنفسه وقبول شهادة
من شهد له والحكم لولده وشربت أم أيمن بوله فلم ينكر عليها وقال اذا لا ينجع
بطنك وشرب ابن الزبير دمه فلم ينكر عليه وقسم شعره بين أصحابه فكانوا
يصلون فيه كل ذلك خاص به صلى الله عليه وسلم

﴿ الباب العاشر في حلية النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده واذا مشى مع قوم يطول عليهم بالرأس وكان
أزهر اللون لم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض وقيل انه مشرب بحمرة ماوصفه

أحد إلا قال هو كالقمر الطالع والبدر الزاهر لم يكن شعره بالجعد ولا بالسبط وكان بين ذلك وكان أزج الحاجبين عيناه نجلاوين أدعجهما وكان أقنى العرنين مفلج الاسنان سهل الخدين ليس بطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية يعفو لحيته ويأخذ شاربه عريض الصدر عظيم المنكبين أشعرهما معتدل الخلق كفه ألين من الخز كأن كفه كف عطار يصافح المصافح فيظل اليوم يجد ريحها

﴿ فصل ﴾ ما بين كتفيه من الجانب الايمن شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها في عرف فرس وقيل خاتم النبوة مثل بيضة الديك مكتوب عليه لا اله الا الله توجه حيث شئت فأنت منصور قال النبي صلى الله عليه وسلم لي عند ربي عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وأنا قثم وهو الكامل الجامع صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادي عشر في بيان انه رسول صادق وأن رسالته لم تزل ﴾

ومن علم أن النبوة راجعة الى حكم الله للنبي بأنه نبي وحكمه خبر وخبره قديم علم أن الانبياء الآن أنبياء في حكمه لان خبره وقوله لا يجوز عليه العدم والمؤمن اذا مات لا يزول حكم ايمانه فكيف يزول عن النبي المؤيد بالمعجزات والعالم اذا نام ففي حال نومه لا يحفظ العلم ولا يتذكره وهو عالم فكيف النبي وقد ورد القرآن بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فكيف الانبياء وقد شنع المعتزلة الفجرة على أهل السنة بهذه المسئلة انكم تقولون ان النبي ليس نبيا في قبره وحاشا لاهل السنة من هذا الاعتقاد قاتل الله المعتزلة أني يؤفكون بل الذي قاله أهل السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم رسول على رسالته نبي على نبوته صادق في رسالته عالم بأمر أمته مستبشر بطاعاتهم مستغفر لزلاتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم تعرض علي أعمالكم كل ليلة اثنين وخميس مرة فان كان خيرا حمدت الله تعالى على ذلك وان كان معصية استغفرت الله لكم.

﴿ كتاب شرح السنة وفيه تسعة أبواب ﴾

(الباب الاول فى مناظرة الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين)

اعلم ان السنة فى اللغة الطريقة المسلوكة وفى الشرع حقيقة السنة ماواظب النبي على فعله وحث على العمل به ودعا اليه واسم السنى يقع على طائفة تعتقد توحيد الله سبحانه وتعالى وصفاته الازلية وتنزه الله تعالى عن الشبيه وتعتقد ان لاخالق الا الله وان العبد يكتسب الافعال وكل مايجرى فى العالم من خير وشر وضر ونفع كفر وايمان صلاح وطغيان بارادة الله تعالى وقضائه وماجاء به الاخبار من أمور الآخرة من الصراط والميزان والحوض والشفاعة حق وخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وهو الامام الحق والصحابة كانوا خير الامة والامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على والقيامة حق وتفسير القيامة ان الله يبعث من فى القبور من المؤمنين والكافرين ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فالسنى أن يكون متابعا للكتاب والسنة متبعا للرسول والمبتدع كل من يعتقد شيأ يخالف الكتاب والسنة ولايتبع الرسول فى أقواله وأفعاله ويحدث قولا أو فعلا مخالفا للرسول صلى الله عليه وسلم فاذا أثبت هذه القاعدة فالقدرية ليسوا من أهل السنة لاعتقادهم انهم خالقو أفعالهم وينفون رؤية الله سبحانه ويعتقدون أن القرآن مخلوق والمشبهة ليسوا من أهل السنة لاعتقادهم ان الله جسم ذوجوارح يغدو ويروح ويعرج فمذهبهم مذهب اخوانهم النصارى فى الناسوت واللاهوت * والكرامية ليسوا من أهل السنة لاعتقادهم جواز الحدوث بذات الله تعالى * والروافض ليسوا من أهل السنة لاعتقادهم أن الصحابة وحاشاهم كفروا * والخوارج ليسوا من أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن اذا شرب الخمر أو زنى أو سرق يكون كافرا فمن اعتقد هذا فهو المبتدع حقا والبدعة كل قول وفعل يخالف الكتاب والسنة والسلف الصالح فهؤلاء كلهم مبتدعة لما ثبت انهم احدثوا قولا يخالف الكتاب والسنة والسلف بقول أو فعل .

﴿ الباب الثانى فى فرض العين ﴾

فاتعلم يا علم الرؤساء صاحب العزة القعساء والدولة الشماء والمكارم أدام الله لك العز والمكارم ان الفرائض الواجبة على العباد على قسمين منها ماهو فرض عين وتفسير فرض العين أن يجب على كل آدمى خاص وعام أمير و وزير وحر وعبد وشيخ وشاب مسلم وكافر فعلى مذهب أهل السنة الكفار مخاطبون بالشرائع فرضا واجبا على العامة والخاصة و لجميع الناس كافة ففرض العين مايجب على كل مكلف ولا يسقط بفعل بعض الناس عن بعض وذلك كمعرفة الله تعالى انه واحد لا شريك له وأنه صانع لا شبيه وأنه حى قادر من يدوله بعثة الانبياء وأنه بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة فطاعته فريضة وشريعته مؤيدة وأنه نبى فى قبره رسول فى روضته مابطلت رسالته ولا تراخت نبوته فعرفة فرض العين أركان الشريعة من الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة وشرائط المعاملات ان كان تاجرا وأحكام النكاح ان كان متأهلا وأحكام الوزارة والامارة ان كان أميرا فيجب على كل واحد أن يعلم أن فرض عينه فى اليوم والليلة سبع عشرة ركعة من الصلاة وأركانها كذا وكذا و يعرف عددها وشرائطها وكذا كيفية الزكاة ومقاديرها كم يجب وفى أى مال تجب فيه ومتى وجب والى من يجب دفعه وكذا الصيام فى شهر رمضان كم أركانه ومايصححه وأى شئ يبطله ومعرفة أركان المناسك والحج فرض عين و يجب على الامير والرئيس أن يعرف حقوق الرعية وشرط السياسة اللطف فى موضعه وكيفية استيفاء الحقوق ونصرة المظلوم والجرى على منهاج السياسة والسوقى يجب عليه أن يعرف الاشياء التى يحرم بيعها والشروط الفاسدة الى غير ذلك وكل من يتولى أمرا يجب عليه فرض عين أن يحصل لنفسه علم ذلك الشئ من الحلال والحرام الذى لا يسعه جهله ومن تركها وغفل عنها فلا يعذر فى القيامة و يسأل عنه حرفا حرفا و يجازى عليه ألفا ألفا

﴿ الباب الثالث في تفسير فرض الكفاية ﴾

وهو يجب على كل الخليقة الا أنه اذا قام به البعض سقط عن الباقين دفعا للحرج كرما ولطفا من الشارع مثال ذلك الجهاد والامر بالمعروف وتجهيز الموتى وتكفينهم والفتوى والقضاء والامامة وعمارة المساجد والاذان وجواب السلام واشباع الجائع الى غير ذلك كل هذا فرض على الكفاية اذا قام به بعض سقط عن الباقين وان تركوه بأجمعهم أثموا جميعا فيجب على الامام أن يبعث كل سنة سرية الى الكفار ويجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده فان لم يقدر فبلسانه فان لم يقدر فبقلبه واذا مات واحد لا كفن له كفنوه وان دخل فقير بلدة ولا طعام له فيجب على جميع المسلمين القيام بمؤنته فان قام به بعض سقط عن الباقين والا عمهم الحرج والاثم

﴿ الباب الرابع في شعار أصحاب الحديث ﴾

اعلم أن الطاعة علم السعادة والمعصية علم الخذلان فمن شعار أصحاب الحديث أنهم لا يكفرون واحدا من أهل القبلة بالذنوب ومن خرج من الدنيا من غير توبة لا يحكمون عليه بالنار ولا يجوزون الخروج على السلطان ولا يكفرون بعضهم وكل دار غلب الظلم والجور عليها وصار ظاهرا على العدل والمعصية على الطاعة لا يقولون انها دار كفر ومن شعارهم تقديم أبي بكر وعمر على سائر الصحابة ويقدمون السنة على القياس ولهذا سموا أصحاب الحديث ويقدمون الشافعي المطلبي على أبي حنيفة النعمان لان الشافعي قدم الحديث على الرأي والشافعي قرشي يصلح للخلافة ولم يصلح لها أبو حنيفة والشافعي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى والشافعي أحسن مساقا وأحسن حالا وأقوم قيلا وأسلم منه فقها ومذهبا اذ لم يتناقض مذهبه كما تناقض مذهب الخصم وهو أحمد الناس فعلا وأكثرهم ثناء عند السلف وأعلم الناس بالعربية وطريق اللغة فجاء من هذه القاعدة ان الطاعات علم اذا تقبلها الله أثاب عليها عشرة أمثالها الى سبعين وسبعمائة فكل سلطان وملك ورئيس

يتمسك بالدين ويسعى فى الخيرات ويجتهد فى الصالحات فأبشر له ثم أبشر فالطاعة ليست بعلة للثواب ولا المعصية علة للعقاب بل علامة فمن كان مطيعا لله مستسلما لقضائه فذلك علامة سعادته ومن كان خليع العذار مسخطا لقضائه فذلك علامة خذلانه والموافاة شرط فى ذلك فلو كانت الطاعة علة لكان آدم بالعتاب أولى والسر فى هذا أن الفاعل الحقيقى هو الله لكن الاسباب والوسائط مشكورة فى وقت ومذمومة فى وقت نخلق أقواما مفاتيح للخير ومغاليق للشر وأقواما بالعكس طوبى لمن جرب الامور وأجرى الله الخير على يديه والويل لمن أجرى الشر على يديه فقد سال به السيل لامة الويل ولا تجوز الشهادة بالجنة ولا بالنار لاحد من الكفار وأيضا من هؤلاء لان الموافاة شرط فربما سلب إيمان المؤمن ويرزق الكافر الايمان لدى الموت اللهم الا فى حق العشرة المشهود لهم بالجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فمن حلف بالطلاق انهم فى الجنة قطعا فقد برّ فى يمينه أما من سواهم فانا نعرف الظاهر دون الباطن ونعرف الحال دون المآل ومن مات على الايمان والتوبة فيجوز القطع أنه من أهل الجنة ومن مات على الكفر فيقطع أنه من أهل النار خالدا مخلدا ﴿ فصل ﴾ ويجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن حقا فى الحال اذ لا شك له فى إيمانه فى الحال وأما فى الخاتمة فلا يقول أنا مؤمن وسأموت على الايمان حقا فان العاقبة مخفية ومن مات من أصحاب الكبائر فلا يقطع عليه بالجنة والنار بل أمره فى مشيئة الله والله رؤف بالعباد هذا مذهب أهل السنة ونعم المذهب وقالت الخوارج من كذب أو فجر أو شرب أو زنى أو سرق أو قذف فقد كفر فيكفرون العبد بالذنب وقالت المعتزلة صاحب الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل فى الكفر يكون فى منزلة بين المنزلتين فان مات قبل التوبة يكون فى النار أبدا مع فرعون وهامان وأهل السنة بريئون من هذا المذهب فان الوعد المطلق للمؤمن والوعيد المطلق للكافر فخذها جواهر منظمة خير لك من خزائن السلطان وفوائد الزمان وبالله المستعان

﴿ الباب الخامس فى الفرقة الناجية ﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها فرقة (اعلم) أن الناجي من هذه الامة أهل السنة والجماعة وذلك بفتوى النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل من الناجي قال ما أنا عليه وأصحابي وكان على السنة والجماعة دون البدعة والمخالفة والدليل على ان الناجي أهل السنة دون القدرية والمشبهة والروافض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنا عليه لانه كان يعتقد و يدعو الناس الى أنه لاخالق الا الله ولاضار ولانافع الا هو وماتحرك فى العالم بقضائه وقدره والقرآن كلام الله والرؤية حق وأبو بكر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصراط والميزان والحساب والشفاعة حق وهذا كله اعتقاد أهل السنة دون المبتدعة فانهم ينكرون ثلثى الشريعة فكيف يكونون ناجين والدليل على أن الناجي أهل السنة سبعة أمور الاول انه لما سئل عن الفرقة الناجية فقال الجماعة وهى صفة مختصة بأهل السنة لان الخوارج لايرون الجماعة والروافض لايرون الجماعة والمعتزلة لايرون حجة الاجماع فكيف يكون بهم هذه الصفة الثاني ان أهل السنة يستعملون كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة والقياس و يحتجون بجميعها ومامن فريق من فرق مخالفيهم الا ويرون شيأ في هذه الأدلة فبان انهم أهل النجاة الثالث أنهم لا يكفر بعضهم بعضا فهم اذن أهل الجماعة قائمون بالحق ومامن فريق الا ويكفر بعضهم بعضا من المعتزلة والنجارية والروافض والكرامية الرابع ان فتاوى الامة تدور على أهل السنة والجماعة و بقي أهل الرأي والحديث ومعظم الامة ينتحلون مذهبهم فاذاهم أهل النجاة الخامس أن عبد الله بن عمر يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قول الله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان الذين تبيض وجوههم أهل الجماعة والذين تسود وجوههم أهل الاهواء وأهل الاهواء الذين لايتابعون الكتاب ولا السنة السادس أن الله تعالى قال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء فبين أنهم ليسوا على طريق الحق وجميع فرق المخالفين يفرقون فيما بينهم فبان

انهم مفارقون الدين وأهل السنة مستمسكون باليمين والحبل المتين ذلك هو الفضل المبين السابع ان مذهب أهل السنة والجماعة لا غلو ولا قصور بل هو مذهب بين المذهبين لا جبر ولا تفويض لا يعطلون الصفات فيكونون كالمعتزلة ولا يشبتون الجوارح فيكونون كالمشبهة ولا يغالون فى عداوة الصحابة فيكونون كالروافض ولا يقصرون فى محبة عثمان وعلى فيكونون كالخوارج بل توسطوا فى الامور فأخذوا بالاحسن فالاحسن وخير الامور أوسطها

﴿ الباب السادس فى مجانبة أهل البدع وبغضهم ومودة أهل السنة ﴾

فلتكن مجالستك ومخالطتك مع أهل السنة وعليك بالاستقامة فى طريق السنة فان وجدت شيأ فحافظ صديقك ولو فى الحريق وان بليت بمبتدع فقل بينى و بينك بعد المشرقين * أغر بال اذا استودعت سرا * وكانون على المتكلمين احفظ لسانك عن الكذب وغيبة الناس وخلقك عن الحرام والشبهة ودينك ومذهبك عن السوء والبدعة ولا تجالس المبتدعين ولا تواصلهم ولا تصاحبهم ولا تغتر بعبادتهم فان عبادة المبتدعة كتكبير الحارسين لا ثواب له فان الله عز وجل يسأل عن الدين وعن العمل واذا خلص الاعتقاد ففيه الاعتماد والدين الخالص أن تنظر فيما أمرك الله فتأخذ به وما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مثل الخلفاء الراشدين فتحفظ هديهم وتلزم سمتهم ولا تجالس أحدا يفسد عليك دينك لان لكلام المبتدعة حلاوة وطعما فى الحلق فان قيل لك من أنت فقل أنا عبد من عباد الله فان قيل من ربك فقل ربى خالق السموات والارض والجن والانس ورازقهم ومحييهم فان قيل كيف تعرفونه فقل بلا كيف ولا كيفية فالجماعة رحمة والفرقة عذاب واياك إياك أن تحترم صاحب بدعة فانما أعان على هدم الاسلام ومن انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن احترم صاحب بدعة يقبح اسمه وذكره و يكون على خطر الهلاك

﴿ الباب السابع فى تعظيم المصحف واحترامه ﴾

من شعار أهل السنة تعظيم المصحف فان القرآن مكتوب فيه حقيقة ومن قال انه

مابين الدفتين من القرآن ليس بقرآن فقد كفر ومن استخف به كفر ومن حلف به مستحلا فقد كفر ومن مسه جنبا أو محدثا فقد أثم ومن عظمه فقد عظم الله ومن أهانه فقد أهان الله ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ومن زعم أن في المصحف زاجا وسوادا ليس إلا فكافر لانه يخالف الاجماع المقطوع به ومن قال ان معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ليست فيما بين الخلق فكافر ومن حلف بما في المصحف يقع طلاقه وان حلف بالمصحف فلا يقع طلاقه ولو أن يهوديا كتب مصحفا يجب تعظيمه واحترامه وكان من جملة التابعين رجل يصبح كل يوم ويأخذ المصحف ويقبله ويقول كلام ربي ولا يجوز بيع المصحف من كافر ولا يجوز دفعه الى دار الحرب ويكره أن يصغر حجمه ويكره جدا أن يفرط في سطوره وحواشيه ولا يجوز تصغيره فيقال مصيحف ومسيجد ولا فتيوي وان ابتلى في برية لا ماء معه ولا تراب وأصابه جنابة ومعه مصحف الصحيح انه لا يفارقه عن نفسه بل يضرب يديه على ثيابه وينوي التيمم ويستصحب المصحف حتى يبلغ الى الطهور والنظر في المصحف عبادة وفي الخبر من داوم النظر في المصحف فقد أمن من العمي في حياته وروى أن رجلا كتب مصحفا فجوّد بسم الله الرحمن الرحيم فغفر الله له بذلك وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم رمدت عيناه فسأل جبريل عن ذلك فقال أدم النظر في المصحف

﴿ الباب الثامن في حكم عوام المؤمنين ﴾

اعلم أن مذهب السنة والجماعة ان العوام مؤمنون لانهم يعرفون الله سبحانه بدليل الا أنهم يعجزون عن تعبير الادلة وسردها ولهذا اذا رأوا روضة أو نزهة يعجبون ويتفكرون ويقولون سبحان الله والحمد لله علما منهم بأنه فعل الله فان قيل كيف يكون لهم علم واذا شككوا فانه من قبل الطبع والعناصر قلنا من رسخ اعتقاده في التوحيد لا يتشكك أصلا ثم المعنى في هذا معقول وهو انا لو كلفناهم معرفة أحكام الجواهر والاعراض لتعطلت المعايش واختلت أمور الدنيا وفي اختلال أمر الدنيا اختلال أمر الدين فان الدنيا مزرعة الآخرة فلو استقدروا أعمارهم

فيها ما حصلوا على عشر عشير منها مع ملابسة أمور الدنيا فلكل عمل رجال والقاطع للشغب في هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه اجلاف الاعراب واغمار الناس من الرعاة وأهل البادية فيسلمون على يديه وكان يكتفي منهم باعتقاد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولم يكلف أحدا منهم معرفة الجواهر والاعراض فلو كان شرطا واجبا عليهم لأمرهم بذلك فان هذا مقام في الدين عظيم لا يسع جهله والمعتزلة حيث يشترطون معرفة الجواهر والاعراض فيحكمون بتكفير عوامهم ولا يوجد عامي مسلم في ديارهم في عسكر مكرم وخوارزم وسائر بلاد المعتزلة ونعوذ بالله تعالى من هذا الاعتقاد

﴿ الباب التاسع في ذكر كرامات الاولياء ﴾

اعلم ان كرامات الاولياء حق وأصحاب الحديث مخصوصون بهذا دون غيرهم والدليل عليه كلام عيسى صلوات الله عليه في المهد كرامة لأمه لانها لم تكن نبية وان اشتبه على بعض الفضلاء أن مريم كانت نبية يدل عليه أنه لا خلاف بين المسلمين في أن الله تعالى لو فعل مع وليه في الآخرة هذه الكرامات كان جائزا فكذا في الدنيا وجب أن يصح ثم العجب ممن لا يجوز الكرامات على الاولياء والكرامة نعمة من الله وقد علمنا أنه فعل مع وليه أكثر من هذا وهو نعمة الاسلام والطاعة وهذا أعلى منزلة في العقل من الكرامة * فان قالوا اما الفرق بينها وبين المعجزة * الجواب اختلف أهل السنة فيها فمنهم من قال لا فرق بينهما الا في شئ واحد وهو أن الرسول يدعى ذلك فتظهر عند دعواه مقترنة بها بل الاعجاز فيها والدعوى بغيرها خطأ أو معصية (فرق أول) النبي مأمون العاقبة من سلب الايمان والاسلام والولى ليس بمأمون (فرق آخر) لا يجوز أن تكون الكرامة معتادة أبدا (فرق آخر) وهو الصحيح وذلك ان الكرامة تختص بحال الولى من نفعه وضرره وما يحتاج اليه ولا يؤدي الى فساد في الخلق والمعجزة يجب أن تكون غير معتادة وعلى غاية ما يجوز أن يكون ظاهرا مكشوفا مقترنا بالدعوى ولا تؤدي الى فتنة

﴿ كتاب الغرائب وفيه عشرة أبواب ﴾

(الباب الاول في ماهية الروح)

اعلم يا علم الرؤساء وصدر الوزراء حقيقة لا مجازا ان هذه المسئلة من مجازات العقول ضل فيها علماء ولا يعرفها الا محقق عالم ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم والناس قد تكلموا فيها زهاء خمسمائة قول وشرح ذلك يقتضي كتابا طويلا فنقدم على ذلك سؤالا وجوابا * أما السؤال قالوا قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فلو كانت الروح معلومة للخلق ماقال الله ذلك وما كان لهذا الكلام معنى * قلنا أجمع العلماء من أصحاب الملل والاعتقادات ان المخلوقات على نوعين لا ثالث لهما جواهر واعراض فالروح اما أن تكون من قبل الجواهر أو الاعراض لانه يستحيل أن يرد الشرع بخلاف ما اقتضاه العقل فقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أي ما أوتيتم من العلم الذي نص عليه الا قليلا من كثير بحسب ماتحتاجون اليه فالروح من المنزل النص عليه لانه أراد أن يعرفوا ذلك بالاعتبار ويتوصلوا اليه بالدلائل والاستبصار وهذا بخلاف سؤالهم عن الطاعة لانه لا طريق للعقل الى معرفة ذلك الا من طريق الاخبار هذا وجه التحقيق ﴿ جواب آخر ﴾ ان ابن عباس ترجمان القرآن قال الروح ملك عظيم على بني آدم وقال قتادة الروح جبريل وقال علي الروح ملك له سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله بكل لسان وهو حافظ على الملائكة كما ان الملائكة حفاظ على الخلق فان كان معنى الروح هذا فكفى الله المؤمنين القتال وان كان غيره قد اختلفوا فقال قائل نعم في الجملة ان الروح موجودة عمارة البدن والجسد والانفصال عن خراب القالب ويكفي ذلك القدر من العلم وهذا لعمري منهج قويم ومذهب الاستقامة وقال جمهور المحققين ان الروح هي الحياة وان الحياة عرض يقوم بالحي فتى وجد فيه يكون حيا واذا عدم فيه فقد حصل ضده وهو الموت والدليل عليه أن المحدثات على نوعين صفة وموصوف باتفاق العلماء ومحال أن تكون الروح موصوفا جسما له جوهر لان الجسم

والجوهر لايصيران صفة الحي وانما يكون مجاورا فالمجاور لا يكتسب صفة ولا وصفا لمجاوره ولا يوجب التغير والتبديل وكان يجب أن يكون القالب خاويا كما كان اذا جاور الحي ميتا أو جمادا فلما كان الأمر بخلافه علمت ان الروح غير جسم والدليل عليه ان الروح لو كانت جسما أو جوهرا لصح أن يكون حيا وقابلا لسائر الأعراض والجواهر وذلك محال في صفة الروح فاذا ثبت هذا ثبت أن الروح صفة وهذا ظاهر لا اشكال فيه فان قلت بقي أشد من أشده فقد خالفت صاحبك الأشعري الألمعي وخالفت الكتاب فان الله تعالى يقول قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلو كانت الروح صفة ما صح قبضها لان الصفة لا تقبض وكيف ترفع في حواصل طيور خضر والجواب أن نقول عرفت شيأ وغابت عنك أشياء أما صاحبي فما خالفته فانه أحد قوليه المنصور في بعض كتبه وأما قبض ملك الموت فمعناه ان الله تعالى جعل اليه جذب الانفاس والهواء الذي في مجاري العروق فعنده يخلق الموت الذي يضاد الحياة ألا ترى أن الانفاس تتتابع عند النزع و يقع الاضطراب فيحكم فيه بالوفاة فحيث قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها فمعناه يخلق الموت و يأمر به وحيث قال قل يتوفاكم ملك الموت يعني يقبض و يجذب وحيث قال الذين تتوفاهم الملائكة فمعناه يسوقون العباد الى القبض فانظر الى هذا التحقيق والتدقيق الذي يتقاطر عنه ماء التوفيق ولا تلتفت الى قول الفلاسفة الكفار واليونانية الضلال ان الروح نفس ودم وانه قديم فانه من ترهات الدسائس فما يوجد و يعدم و يتصل و ينفصل كيف يكون قديما وما يتغير و يتجدد كيف ينعت بالقدم ولهم في ذلك خبط طويل ومذهب ثقيل أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

﴿ الباب الثاني في حقيقة العقل ﴾

وهي مسئلة عظيم خطبها مهيب شأنها وكثر القال والقيل فيها وفيها أغلوطات ومعارضات من المخالفين حتى قال بعض الملحدين ان العقول متفاوتة مختلفة

وقالوا العقلاء بخاصية العقل عرفوا الاشياء والانبياء بخاصية العقل وصلوا الى المعجزات ولبسوا على العوام وقالوا نحن انما قلنا العقول متفاوتة تعظيما للانبياء فانه كيف يجوز أن يقال ان عقل الانبياء مثل عقل العوام والاساكفة والحاكة ولولا ان العقول متفاوتة لما ورد الخبر بانقسام العقول واذا كانت متفاوتة فاستواء الكل في التكليف يكون ظلما عظيما فان البهيمة التي تقدر أن تحمل مائة من فلو حملتها مائتين يكون ظلما عظيما ومقصودهم أن يخرجوا الناس عن دين الله فيقولون ان العقل لا يحصل به معرفة والامام المعصوم لم يخرج بعد فافعل ماشئت و يفتحون على الناس باب الاباحة وهذه مسئلة سأل بعض تلامذتنا الامام محي الدين يحي السلماسي فتحير فيها ومانبس بشيء فيها فأقول والحق يشهد له بالعقول يا مخاذيل عن صبوح يرقعون بنيتم قصرا وخربتم مصرا العقول نوع علم ضروري لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يوصف بالزيادة والنقصان ولكن أنتم عميان وعن الحجة عارون ودعوا كم فيها زور و بهتان وأكثر المحققين ما وضعوا للعقل حدا لان الشيء انما يحد لخفائه واستتاره حتى يظهر و يتبين وأما اذا كان الشيء ظاهرا جليا منكشفا يعرفه العقلاء فلا يحتاج الى حد

وهبني قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء

وضعفاء الناس ومساكين الكلاب انما أتوا بالفرق من قلة الفهم بين العقل والعلم فنحن نذكر أنواع العلوم حتى ينكشف لاهل البصائر حد العقل فليعلم ان العلوم ثلاثة أنواع النوع الاول علم ضروري يحصل للعاقل من غير كسب ونظر ولا يقدر على دفعه عن نفسه لا بالنفي ولا بالاثبات وسمي ضروريا لاشتماله على نوع من الضرر كعلم الانسان بوجود نفسه وعلمه ان الاثنين أكثر من الواحد والثاني البديهي كعلم الانسان والثالث علم الاستدلال لا يحصل الا بالتكسب والتذكر وهو علم النظر فاذا ثبتت هذه القاعدة فاعلم ان العقل نوع من العلم الضروري وماذكرناه يعرف به جواز الجائزات واستحالة المستحيلات و يعرف به وجوب واجبات العقل ان الصنع لا بد له من صانع والكتاب لا بد له من كاتب ودليل

العقل يدل على المعقول لذاته وصفاته فكل عاقل يعلم من نفسه ان الصنع لا بد له من صانع والبناء لا بد له من بان وان الاثنين أكثر من الواحد وان شخصا واحدا لا يكون في مكانين في حالة واحدة سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا والعقل معنى واحد في الآدمي ومع وجود ذلك المعنى يقدر على النظر والاستدلال ولا يجوز أن يوصف المعنى الواحد بالزيادة والنقصان لان العرض الواحد لا يتجزأ ولا يتبعض ووراء ذلك أوصاف أخر لا تتعلق بالعقل وتشتبه على الناس مثل البلادة والكياسة والتجربة والاستعمال فهذه لا تعقل لها بالعقل بل يرجع الى دوام التجربة لان العقل في حصول العلم به مثل آلة والعمل بذلك الآلة هو التجربة والنظر في وجوه الدليل وهذا يتعلق بكسب الآدمي فهذه متفاوتة جدا فعرفت ان أصل العقل لا يتفاوت وأوصاف أخر يطلق عليها اسم العقل مجازا واستعارة ذلك تتفاوت ويخرج عن هذه القاعدة جميع أسئلة الخصم ان عقل الملك والرسول مستويان متماثلان وتفاوت العقول يرجع الى التجربة والاستعمال ولذلك تأول الخبر خلق الله العقل ألف جزء يعني استعمال العقل فأحدهم يكون دراكا فطنا وآخر يكون صلدا بليدا ففي هذا يتفاوتون قوله الانبياء عرفوا بخاصية عقولهم معجزات (قلنا) يا ملاحدة قد بينا ان العقل لا يتفاوت وان سلمنا جدلا فلم يكن رجل منذ خمسمائة وأربعين سنة يعرف خاصية سلك المعجزة فيدعيها مع كثرة عددكم وشدة وثوبكم على ابطال الحجج فان اليونانيين يقولون النبوة طريقها الرياضة والكسب فلم يكن أحد راض نفسه وهذبها وزكاها حتى بلغ منتهاها قاتلهم الله أنى يؤفكون فحجتنا القرآن فهلموا فعارضوا القرآن يا أخابث بني الزمان ولا يقدرون على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

﴿ الباب الثالث في غرائب الفقه ﴾

كل شيء نجس فلا يطهر الا شيئان جلد الميتة اذا دبغ والخمر اذا صار خلا ولا يجزىء فرض العبادة كلها بغير نية الا ثلاثة الحج والعمرة والزكاة في مسئلة واحدة اذا أخرجها الولي من غير نية له في دفعها اليه وكل شيء ينقض الطهارة ففي الصلاة

وغيرها سواء الا في شيء واحد وهو رؤية المتيمم الماء في الصلاة ولا تسقط الصلاة عن أحد بالغ الا بثلاث علل الحيض والنفاس وزوال العقل بجنون أو مرض . كل موضع طاهر صليت فيه جاز الا في موضعين ظهر الكعبة اذا لم يكن بين يديه بناء والثاني اذا صلى داخل الكعبة الى ناحية الباب والباب مفتوح . كل من وجبت عليه الزكاة اذا كان غنيا جاز له أخذ الزكاة اذا كان فقيرا الا اثنين الهاشمي والمطلبي وكل من افتقد ماله حتى لا يصل اليه ولا ينتفع منه بحال فليس عليه الزكاة فيه الا في خلة واحدة وهي أن يدفن ماله في بيته ولا يهتدي الى موضع الدفن ولا يصل اليه فان زكاته في كل سنة . وكل كفارة وجبت في ماله كان أداؤها قبل الوجوب الا واحدة وهي كفارة المجامع في رمضان . وكل شرط في البيع يبطل البيع الا ستة أحدها خيار الثلاثة والثاني اذا باع عبدا أو أمة واشترط على المشتري أن يعتقها والثالث التبري من العيوب والرابع اذا باع مملوكا واشترط على المشتري أن يعتقه ويكون الولاء للبائع والخامس اذا باع وشرط فيه رهنا أو حميلا والسادس اذا باع ثمرة على شجرة أو زرعا في أرض أو عمارة دون الارض اشترط على المشتري أن يرفعه . كل عقود المحجور عليه وهباته باطلة الا ثلاثة الوصايا والتدبير والخلع واقراره بالمال جائز والحوالة لا تثبت الا بثلاثة المحيل والمحتال والمحال عليه الا في مسئلة وهي الاب يكون لأحد ابنيه الصغيرين على الآخر مال فأحاله على نفسه جاز وكذلك ان أحاله على ابن صغير . وكل غاصب يرد ماغصب اذا كان موجودا الا في ثلاثة مواضع اذا غصب خيطا فخاط به جرح انسان أو حيوان فانه يضمن الخيط ولم ينزع أو غصب جارية ابنه فأولدها أو غصب طعاما أو شرابا فطولب به وهو مضطر يخاف على نفسه وليس يؤخذ المغصوب منه فيضمن القيمة وكل سلطان أقطع رجلا من حماه أو حمى من كان قبله فاقطاعه جائز الا واحد وهو حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حمى النقيع فتى أقطعه فعمره نقضت عمارته ويرد الحمى الى أصله وكل مال تلف في يد أمين من غير نقد فلا ضمان عليه الا في واحد وهو السلطان اذا استسلف للمساكين زكاة قبل حولها

فتلف في يده ضمنه للمساكين قبله . وكلما أبيح للأحرار من لذات الدنيا أبيح للعبد الا التسرى فانه لايحل لهم بحال الاعلى مذهبه الجديد وكل من طلق امرأته بصفة لم يقع بدون الصفة الا فى أربعة مواضع أحدها أن يقول لحامل أو صغيرة أو مؤيسة أنت طالق للسنة أو أنت طالق للبدعة لزمه من ساعته لانه لاسنة فى طلاقها ولا بدعة الثانى أن يقول أنت طالق بتطليقة واحدة قبيحة حسنة أو جميلة فاحشة وقع الطلاق والثالث أن يقول أنت طالق أمس فانها تطلق فى الوقت الذى تكلم فيه والرابع أن يقول أنت طالق اذا رأيت هلالا كذا طلقت اذا رآه غيرها والقتل ثلاثة أنواع واجب ومحظور ومباح فالواجب أربعة قتل المرتد بعد الاستتابة وقاطع الطريق اذا قتل ولم يتب والمحصن اذا زنى وتارك الصلاة بغير عذر والمحظور قتل من لم يجب قتله والمباح القتل قصاصا فان شاء قتل وان شاء عفا وقطع السارق أربعة فأول ماتقطع يده اليمنى ثم رجله اليسرى ثم يده اليسرى ثم رجله اليمنى ثم يعذب بعد ذلك ويحبس حتى تظهر توبته ولا يجمع حد ومهر على أحد الا فى مسئلة واحدة وهى أن يزنى بامرأة أبيه قبل أن يدخل بها أبوه ويكرهها على ذلك فان الحد عنها ساقط ويجب لها نصف المهر على الأب ويرجع الاب على ابنه الذى زنى ان كان يعلم ان زناه بامرأة أبيه يفسد النكاح وان كان لايعلم فليس عليه الا الحد والنفى ثلاثة نفى قطاع الطريق فان كان قتل قتل وان كان أخذ المال قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى من خلاف ومن لم يفعل من ذلك شيأ اذا أخذ حبس حتى تظهر توبته ومن جمع بين قتل وأخذ مال قتل وصلب ثلاثا ثم دفع الى أوليائه وقال فى القديم يصلب وهو حى ويترك أوقات الصلاة ثم يقتل بعد ثلاثة والنفى الثانى البكر الزانى ينفى بنفسه وان كان مملوكا جلد خمسين وفى نفيه قولان أحدهما ينفى نصف سنة والآخر لا نفى عليه والثالث ما يروى فى حديث مرسل انه نفى خنثيين من المدينة هيت وماتع وكل من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله أونهى عن قتله لم يجزأ كله فقد أمر بقتل ستة فى الحرم الحدأة والعقرب والغراب والفأرة والكلب العقور ونهى عن قتل الهدهد والخطاف والصرد والنملة

والضفدع وكلما أخطأ القاضى فضمانه على المحكوم له ما عدا الحدود فاذا رجم امرأ فأخطأ كانت ديته على بيت المال وأما سائر الحدود فلا ارش عليه فيها

﴿ الباب الرابع فى قوله اهدنا الصراط المستقيم ﴾

المسلمون كلهم على الهدى فما معنى هذا الاستهداء فيه ثلاثة أقوال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم أي زدنا هداية الى الاسلام وقد وعد الله الزيادة فى الهدى فقال والذين اهتدوا زادهم هدى وفى قول آخر أرشدنا الى طريق الجنة قال الحطيئة

تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقال

(وفى قول آخر) ثبتنا (يسومهم سوء العذاب) نزل (لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى الغلمة (نحن أحق بالملك) لان طالوت كان ابن دباغ (يوم تبيض وجوه) أهل السنة والجماعة (وتسود وجوه) أهل البدعة (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) يعنى من ساء ضيافته فله أن يشكو (فلله الحجة البالغة) أى الفعل ولم يكن التعليم رغما للملحدين لعنهم الله (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) أكلا وشربا (واجنبني وبنى أن نعبد الاصنام) الدراهم والدنانير (حياة طيبة) القناعة (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) بحب أبى بكر وعمر (وجعلنى مباركا) نفاعا (والباقيات الصالحات) سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر . قرأ النبي (وان منكم الا واردها) أعنى ورد الكفار دون المؤمنين (يوم الزينة) العيد (الله نور السموات والارض) هادى السموات (واتبعك الارذلون) الحاكة والاساكفة (ليستخلفنهم فى الارض) أبا بكر وعمر (لأعذبنه عذابا شديدا) لأحبسنه مع غير جنسه (ولا تنس نصيبك من الدنيا) القبر والكفن (فى ناديكم المنكر) كانوا يتضارطون فى المحفل (يزيد فى الخلق ما يشاء) الصوت الحسن وقيل الوجه الحسن (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) الاحياء العلماء والاموات العوام (أذهب عنا الحزن) * (لينذر من كان حيا) عاقلا (ننقصها من أطرافها) بموت العلماء (سلام على آل ياسين) العلماء (ويوم يحشر أعداء الله) الشرط والاعوان (فاعلم أنه لا اله الا الله) يعنى علمت فاثبت كقوله والرجز

فاهجر وقد كان هاجر عن الشرك ومعناه هجرت الشرك ولزمت الاسلام فاثبت عليه والقرآن نزل بلغة العرب وهم يقولون للآكل كل وللنائم نم وللقائم قم يعني على ذلك أكلك ونومك (أكثرهم لا يعقلون) بنو تميم (يوم ينادي المنادي) من صخرة بيت المقدس (كل يوم هو في شأن) لا نسيان ينسيه (عربا أترابا) متعشقات لازواجهن غنجات (يبعث عليكم عذابا من فوقكم) يعني السلاطين والأمراء ومن تحت أرجلكم الغوغاء والعوام (وأكون من الصالحين) من الحاجين الكعبة (تلقون اليهم بالمودة) يعني بالكتاب والرسالة (سنقرئك فلا تنسى) يعني لا تنس العمل به (ومن شر غاسق اذا وقب) ومن شر الذكر اذا قام (ليذهب عنكم الرجس) البخل (للسائل والمحروم) كلب المحلة (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) يعني البخل فتتباخلوا فتهلكوا (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) قال عبد الله بن الزبير يعني سبل الخلاء والبول

﴿ الباب الخامس في غرائب الاخبار ﴾

قال أبو ذر العقيلي يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات قال صلى الله عليه وسلم في عمام فوقه هواء وتحته هواء يعني قبل خلق السماء كان الله ولم تكن الاشياء ولم يكن فوق ولا تحت وقيل في عمام ممدود وهو السحاب الرقيق وقال تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل أي عليها فلا يصح وصف الله بأنه في مكان يعني كان الله وغيره من الاشياء كان عدما محضا وقوله للجارية المنذور عتقها أين الله فأشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة وهذا سؤال عن المكانة لا عن المكان كما يقال أين فلان بن فلان يراد به المكانة والمنزلة لا المكان يعني عظمته في قلبي كعظمة السماء وقيل استراب النبي صلى الله عليه وسلم بأنها موحدة أو وثنية تعبد الاصنام فلما أشارت الى السماء يعني خالق الذي خلق السماء قال أعتقها وقوله نحن أحق بالشك من ابراهيم ورحم الله لوطا انه كان يأوي الى ركن شديد وهذا طعن على نفسه وعلى ابراهيم قوله أحق بالشك قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبي فقال أنا أحق بالشك من ابراهيم تواضعا منه وتقديماله على نفسه يريد انا لا نشك ونحن

دونه فكيف يتسلك هو ليطمئن قلبي أي يطمئن بتعيين النظر قوله لاعدوى ولا طيرة ثم قال لا يردن ذو عاهة على مصح وفر من المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم جليسه وأكيله والمرأة تكون تحت المجذوم فتسقم لرائحته ﴿فصل﴾ قال صلى الله عليه وسلم اذا نظر الوالد الى ولده فسره كان الوالد أعتق نسمة قيل يارسول الله وان نظر ثلثمائة نظرة فقال الله أكبر يعني عطاؤه أكبر وقال ان الله تعالى يحاسب العبد فيما ينفقه الا في ثلاثة مواطن عند فطوره وعند سحوره وعند حضور ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم مامن نبت الاو بجنبه ملك موكل به حتى يحصد فأيما امرىء وطئ ذلك النبت لعنه ذلك الملك وقال ماأنفق عبد درهما في زنا الا فقد سمائة درهم لا يعرف لها وجها وماأنعم رجل على رجل بنعم فلم يشكرها فدعا عليه الا استجيب له وقال ماعجت الارض الى ربها عز وجل من شئ كعجها من ثلاثة من دم حرام سفك عليها أو غسل من زنا أو نوم قبل طلوع الشمس ومامن امرأة تصدقت على زوجها بشئ من صداقها قبل أن يدخل بها الا كتب الله لها بكل دينار عتق رقبة مامن خطيئة عند الله بعد الكبائر أعظم من خطيئة من يموت وعليه أموال الناس دينا في رقبته لا يجد له قضاء قال مامنكم من أحد يصيبه شئ الا رآه في منامه قبل ذلك حفظه من حفظه ونسيه من نسيه مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه سبع ولا طير ولا انس ولا جان الا كان له بذلك صدقة مامن احد الا ود انه كان بما أوتي من الدنيا قوتا من أهوال الساعة من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا كان هو ومولوده في الجنة ومن غرس يوم الاربعاء فقال سبحان الوارث الباعث فانه يأكلها ومن بلغ ابنه النكاح وعنده ماينكحه ثم أحدث حدثا فالاثم عليه من باع عقدة من داره بغير ضرورة سلط الله على ثمنه تالفا يتلفه ومن جاوز أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار من كانت تجارته الطعام بات وفي صدره غل المسلمين ومن وقرعالما فقد وقر ربه من قلم أظفاره يوم الجمعة عوفي من السوء كله الى الجمعة الاخرى من سره أن يحرم الله وجهه ولحمه ودمه على النار فليمت بقزوين من بني فوق عشرة أدرع نادى مناد

صحيفة

صحيفة